
زهير الأعرجي
دراسات في الإعلام
١
الشخصية الإسلامية
مؤسسة إعلامية
دار المعارف للمطبوعات
دار الأضواء للمطبوعات

الاعلام الاسلامي..

مفاهيم وتجـــارب

دراسات في الأعلام

١



الاعلام الاسلامي
مفاهيم وتجارب

زهير الأعرجي

دار التعارف للمطبوعات

دار الانوار للمطبوعات

الطبعة الاولى
١٩٧٧ م ١٣٩٧ هـ

دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت
شارع سورية ـ بناية درويش
ص٠ب٠ ٦٤٣ ـ ت ٢٤٧٢٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

« ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
او القى السمع وهو شهيـــد » ...

قرآن كريم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

كانت في النية اصدار كتاب شامل حول الاعـلام الاسلامي ...
مفهومه .. اساليبه .. القوى التي تؤثر عليه .. الحروب التي تشـن
عليه .. الرأي العـام في الاسـلام .. الحرب النفسية ضد الاسـلام
وغيرها من مواضيع العصر ...

وقد ارتأينا اصدار هذه المواضيع العصرية المترابطة تحت سلسلة
دراسات في الاعلام بصورة شهرية كسباً للوقت وتيسيراً في الاقتنـاء
وايجازاً في العرض وهذه هي الحلقة اولالى من هذه السلسة التي تضم
الحلقات التالية :

(١) الاعلام الاسلامي .. مفاهيم وتجارب .
(٢) الشخصية الاسلامية مؤسسة اعلامية .
(٣) الرأي العام الاسلامي وقوى التحريك .
(٤) الحرب النفسية ومهمات الاعلام الاسلامي .
(٥) الموقف الاسلامي ضد عمليات غسل الدماغ .
(٦) الصحافة الاسلامية .. الواقع والآفاق .

ونأمل ان يكون الموضوع باباً لدراسات اخرى في المستقبل القريب
انشاء الله .. ومنه تعالى نستمد الاعتصام وهو ولي السداد والتوفيق .

زهير الاعرجي
بغداد ــ ١٧ تشرين اول ١٩٧٦

(١)

يقصد بالاعلام من الناحية العلميـــة الاسلـوب المنظم للدعايـة السياسية او ترويج الأفكار في وسط مهيىء نفسياً لاستقبال السيــول الفكرية التي تقذفها المصادر التي تتحكم بالرأي العام وتمسك زمـــام الامور بيد من حديد ..

ويمكن ان نفهم اصطلاح « الاعلام » على انه الاسلوب الذي يحرك مشاعــر التفكير ومكامن الاحساس للانسان ويهز الشعــور العاطفي والنفسي بقوة تتناسب مع قوة التأثير وعظمة الدعوة .. وتأثير الاعــلام على وتر الشعور وحبل العاطفة كبير اذا تصورنا ان لهذا الوتر رد فعــل يهتز مع ايقاع هذا الفعل .. وبالنتيجة فان رد الفعل سيكون سائباً اذا لم تتحكم به القوانين .. ويكون رد الفعل عاطفياً اذا لم يتدخل العقل والفكر بدوره الكبير في صد فوران العاطفة وارجاعها الى حدودها ، ولهذا فان اكثر ما يسري وينتشر تأثيره في الاوساط التي تعاني فقراً فكريا او الاوساط التي تفتقر الى نوعية جيدة من الغذاء الفكري .

وقد حاولت بعض الفئات الفصل بين الاعلام والفكر باعتبــار ان الاعلام يمثل مرحلة سطحية من مراحل الفكر ويمكن ان يوجه الـــى جمهور ذو مستوى فكري واطىء ويمكـــن تصديـره مـــن (مفكرين) مأجورين .. وان الفكر يمثل قمة النشاط الذهني الانساني ولا يصـــل

الفكر الى كل الناس باعتبار ان الفكر يخاطب النخبة المثقفة من الجماهير ..

ونحن نقول ان الاعلام الاسلامي ليس اعلاماً سطحياً يخاطب حثالات المجتمع باسلوب ساقط ولا فكراً فلسفياً يجادل الفلاسفة ويترك الناس .. انه اعلام يستند على فكر ثابت آلهي ورسالي ويستمد قوته من الركائز العقائدية التي دقتها معاني وبلاغات القرآن الكريم في نفس وعقل الانسان المسلم فعلا .. ونقصد بالانسان المسلم الانسان الذي ينقل الاسلام من الرفوف الى الواقع .. والاعلام الاسلامي اضافة الى ذلك اعلام هادف على المستوى المرحلي والبعيد المدى .. اعلام هادف بمعنى ان رجل الاعلام الاسلامي يمتلك وضوحاً في التفكير ووضوحاً بالهدف فلا يبتغي الترقيع لمرحلة معينة انتظاراً لمجيء التبديل من الاسماء .. فهو مطالب بان يقول الحق ولو كره ذلك ، وهو مطالب بأن يقول الحق اذا رأى ان للباطل صولة .. فهو ان قتل لقوله الحق فقد ذهب شهيداً وذهبت روحه في حوصلة طير اخضر يسرح في الجنة حيث يشاء :

(ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون)

البقرة : ١٥٥

.. وان انتصر الحق على الباطل وذهبت كلمته الى مسامع الدنيا تبشر بالمولد الجديد مولد الاسلام فقد فاز في الدنيا والآخرة ، وذلك هو الانتصار العظيم ..

ونقول ان الاعلام الاسلامي اعلام هادف على المستوى المرحلي والبعيد المدى .. لأن الاسلام لا يعترف بانصاف الحلول .. فاما الجاهلية واما الاسلام ولا دخل للواسطة في تحديد وتحجم الغاية او الهدف .. والكلمة التي يقولها الاسلام في المستوى المرحلي هي الكلمة التي يقولها على المدى البعيد وهي الكلمة التي قالها قبل مئات السنين لأن كلمة

الاسلام هي كلمة الله ولأن الدين عند الله الاسلام فلا تبديل في كلمة الله
(سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) الفتح : ٢٣

فهدف الاسلام على المستوى البعيد هو اقامة دولة الله في الارض ولا يعيق هذا الهدف مرحلة زمنيــة او وقفة تأملية لأن الركب سائر ولا يضير السحاب نبح الكلاب ••• ولا يمكن ان يغير الهدف مرحلة تكتيكية لأن التكتيك اذا خالف شريعة الله فقد اصبح نفاق •• والمنافقون هــم حطب جهنم ووقودها ••

فاذا اخرجنا النفاق من عنصر الاعلام واخرجنا الشعارات المزيفــة التي يرفعها المنافقون ، الاحياء منهم والميتون ، وحذفنــا عنصر الجبــن والتزلف ، وانبتنا عنصر الشجاعة والاقدام وحب الاستشهاد لاصبحت لنا دائرة اعلامية في غايــة النظافة والطهــارة وهذه الدائــرة هي التي نسميها بالاعلام الاسلامي ••

ويمكننا الآن ان نحدد النقاط الأساسية التي يجب مناقشتها في دائرة الاعلام الاسلامي من خلال استقراء الفكر الاسلامي والاساليب الحديثة في ايصال هذا الفكر الى اكبر عدد ممكن من الناس باسلوب مؤثر وطريقة فعالة •• ويمكن اجمال هذه النقاط كالآتي :

١ ـ متانة الفكر الاسلامي •

٢ ـ قوة الشخصية الاسلامية والتي نعتبرهــا مؤسسة اعلاميــة مستقلــة •

٣ ـ دراسة نفسية الناس في المجتمع المراد تنويره بالاســلام •

٤ ـ دراسة التيارات الفكرية المعاصرة واستخلاص عصاراتهــا الفكرية في سبيل اعداد دراسات نقدية كاملة عنها وباقلام كفوءة •

٥ ـ دراسة موقع الاسلام من التيــارات المعاصرة ووضع تقييــم موضوعي لوضع الاسلام الحاضر •

٦ ــ دراسة الاسلوب الافضل للاعلام الاسلامي الحديث .

وتتناول الآن بالتفصيل النقطة الاولى من النقاط الست السابقة وهي متانة الفكر الاسلامي .

١ ــ متانة الفكــر الاسلامي

الفكر الاسلامي ينقسم الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول : الفكر القرآني ويضم بين دفتيه قمة الفكــر الرسالي واسلوب أرقى رسالات السماء وخاتمتها .. والقرآن يحوي كل شيء ، من الفكر السياسي الى التنظيم الى الاقتصاد الى الزراعة الى الصناعة الى علم الفلك الى علم البيولوجيا الى علم معرفة الله الى علم التشريح الى علم تكوين الارض وافضل هذه العلوم جميعا علم معرفة الله ، والقرآن أغنى كتاب رسالي معرفــة بالله سبحانــه وتعالى :

(هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم* هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الخالق البارىء المصور ، له الاسماء الحسنى يسبح لهما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) الحشر: ٢٢ــ٢٥ **(الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمــر ، كــل يجــري لاجل مسمى ، يدبــر الامــر يفصــل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون)** الرعــد : ٢ .

والقرآن فكر دعوة وفكر تنظيم .. وباتحاد الدعوة والتنظيــم في ذهن الانسان يخلق الانسان المسلم المجاهد الذي يتفجر ثورية ويشتعل ايمانا برسالة السماء ..

القسم الثاني : فكــر الرسول (ص) ، حيث لم يتعلم الرسول (ص) في مدرسة دينوية او كلية أرضية بل احالته العناية الالهية بعلمها وأدخلته

في المدرسة الالهية الرسالية فتخرج معلماً للناس **(انما بعثت معلما)** ـ حديث شريف ، ولا بد ان يكون معلم الناس اعلمهم جميعاً .. فاستقائنا لعلم الرسول (ص) وفكره استقائنا لعلم وفكر لا ينضب .. والينبوع هو الينبوع لا حساب في جريه لليل او نهار . ولو تلمسنا جانباً من فكره لرأينا عجبا فهو يقول في الحكمة :

(الحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو احق الناس بها) .

ويقول :

(خذوا الحكمة من اي وعاء خرجت) .

ويقول (ص) عن الاعلام :

((ان الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا ـ واشار الى لسانه ـ **أو يرحم))** . ويقول (ص) في الدنيا : **((ان الدنيا خلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء))** .

ويقول (ص) أيضا :

ويقول (ص) ايضا : **((الصبر عند الصدمة الاولى)) ، ((لا تباشر المراة المراة فتنعتها لزوجها كانه ينظر اليها)) ، ((سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل الا ظله : امام عادل ، وشاب نشا في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امراة ذات منصب وجمال ، فقال اني اخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه)) ، ((ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته)) ،((ان رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة)) ، ((اذا ضيعت الامانة (١) فانتظر الساعة . قيل : كيف اضاعتها يا رسول الله ؟ قال : اذا اسند الامر الى غير اهله فانتظر الساعة))** .

وفي هذه الاحاديث يتناول الرسول الكريم (ص) الحكمة والاعلام والدنيا والنساء والصبر والشباب والظلم والسياسة والدولة .. وفي كل

---

(١) أي امانة الحكم .

موضع من هذه المواضع يضع الرسول الكريم (ص) علامة في الطريق •• فهو يعلمنا كيف نبني الدولة في انفسنا وفي مجتمعنا •• وكيف نربط العمل بالعبادة ، والدنيا بالآخرة ، والسعي بالايمان •• انه الاطار الرسالي للاشعة القرآنية •• فللرسالة حدود واطر •• وللفكر معايير ومقاييس •• وفكر الرسول (ص) يمثل قمة التزام الانسان برسالة السماء •• الرسالة التي غيرت وجه التاريخ وصنعت من الانسان المبعثر الجاهل انساناً في غاية التنظيم والعقلانية ••

والقسم الثالث : فكر الائمة (ع) والصحابة رضوان الله عليهم من خلال أحاديثهم وتصرفاتهم واسلوب حياتهم ، فالائمة (ع) والصحابة لم يتعلموا في اكاديمية علمية او جامعة أدبية او معهد تاريخي ولم يحصلوا على شهادة البكلوريوس ولا شهادة الدكتوراه •• بل حصلوا على شهادة العلم من القرآن الكريم وشهادة التجربة من سلوك الرسول الكريم محمد (ص) •• فكان كل واحد منهم يمثل مدرسة فكرية كاملة النضوج والاستقلال ••

يقول الامام علي (ع) في الموت بعد ان يصور الحركة والتفاعل في ذلك العالم :

« ولكنهم شقوا كاسا بدلتهم بالنطق خرسا ، وبالسمع صمما ، وبالحركات سكونا . فكانهم في ارتجال الصفة صرعى سبات (١) •• جيران لا يتآنسون ، واحباء لا يتزاورون ، بليت بينهم عرى التعارف ، وانقطعت منهم اسباب الاخاء . فكلهم وحيد وهم جميع ، وبجانب الهجر وهم الخلاء ، لا يتعارفون لليل صباحا ، ولا لنهار مساء . اي الجديدين(٢) ظعنوا فيه كان عليهم سرمدا (٣) » .

---

(١) ارتجال الصفة : وصف الحال بلا تأمل ، فالواصف لهم باول النظر يظنهم صرعى من السبات ، اي النوم .
(٢) الجديدان : الليل والنهار .
(٣) سرمد : ابدي .

ويقول في حِكَمه الجليلة التي تنم عن عمق في الادراك وموضوعية في التقدير وقوة في الاستنباط وسمو في التعبير .

« الناس اعداء ما جهلوا » ، « قيمة كل امرىء ما يحسنه » ، « الفجور دار حصن ذليل » ، « من تخفف لحق » .

ويقول في وصفه الحاسد :

« ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من الحاسد : نفس دائم وقلب هائم وحزن لازم . مغتاظ على من لا ذنب له . بخيل بما لا يملك » .

ويقول في وحدة الوجود : « وما كان ما تباعدا منها مضموماً في وحدة طرفاها الازل والابد » .

ويقول (ع) في عظمة الخالق :

« لو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة الا على أن فاطر النملة هو فاطر النخلة . وما الجليل واللطيف ، والثقيل والخفيف ، والقوي والضعيف ، في خلقه الا سواء ! وكذلك السماء والهواء ، والرياح والماء والحجر ، واختلاف هذا الليل والنهار ، وتفجر هذه البحار ، وكثرة الجبال ، وطول هذه القلال الخ .. » .

وروى عن نوف البكالي ان الامام علي (ع) قال في خطبة له في الكوفة :

« ألا انه أدبر من الدنيا ما كان مقبلا ، وأقبل منها ما كان مدبراً . وأزمع الترحال عباد الله الأخيار ، وباعوا قليلا من الدنيا

لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنى ، ما ضرّ اخواننا الذين سفكت دماؤهم وهـم بصفين ان لا يكونوا اليوم أحياء يسيغون الغصص ويشربون الرنق ؟ قد والله ، لقوا الله فوفاهم أجورهم وأحلهم دار الأمن بعد خوفهم ، أين اخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا علـى الحق ؟ أين عمار ؟ وأين ابن التيهان ؟ وأين ذو الشهادتين ؟ وأين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاقدوا على النية ؟ » .

وعن ضرار بن حمـزة الضابىء قال : فأشهد لقد رأيته ــ يقصد الامام ــ في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله وهو قائم في ظلامه قابض على لحيته يتململ ويبكي بكاء الحزين ويقول : « يا دنيا يا دنيا، اليك عني، أبيّ تعرضتِ ؟ أم اليّ تشوقت ؟ لا حـان حينك ، هيهات ! غري غيري ، لا حاجة لي فيك ، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها ! فعيشك قصير ، وخطرك يسير ، وأملك حقير ! آه من قلة الزاد وطول الطريق وبعد السفر وعظيـم المورد » .

واليك قليلا من قولـه في خلق السمـاء والارض :

« فطر الخلائق بقدرته ، ونشر الريـاح برحمته ، ووتد بالصخور ميدان أرضه . ثم انشأ سبحانه فتق الاجواء ، وشقّ الارجاء ،

وسكائك الهواء ، فأجرى فيها ماء متلاطماً
تياره متراكماً زخّاره ، حمله على متن الرياح
العاصفة ، والزعزع القاصفة . ثم انشأ
سبحانه ريحاً أعتق مهبها ، وأعصف مجراها ،
وأبعد منشأها فأمرها بتصفيق الماء الزخار ،
واثارة موج البحار ، فمخضته مخض السقاء
وعصفت به عصفها بالصفاء ترد اوله الى
آخره وساجيه الى مائره .. » [1] .

ويرسم لنا الامام علي (ع) منهجا كاملا في التصور والتعامل الاسلامي مع المجتمع ومع الخالق .. فهو يجسم تحديد المنهج بعد ان حدده الرسول (ص) من خلال تنفيذ أوامر القرآن الكريم ..

انه الفكر الاسلامي .. الفكر الذي مزق أعتى جاهلية في التاريخ .. ولا زال يمزق جاهليات وجاهليات .. انه الينبوع الذي لا حساب في جريه لليل او نهار ..

٢ ــ قوة الشخصية الاسلامية

والنقطة الثانية من النقاط الست هي قوة الشخصية الاسلامية في كونها مؤسسة اعلامية مستقلة وقد أفردنا حلقة خاصة وهي الحلقة التي تلي هذه الدراسة مباشرة للتحدث عن هذا الموضوع بالتفصيل .

٣ ــ دراسة نفسية الناس في المجتمع المراد تنويره بالاسلام .

اما النقطة الثالثة والتي تتعلق بدراسة نفسية الناس في المجتمع الذي

---

(١) للتوسع راجع كتاب روائع نهج البلاغة (الامام علي) ــ جورج جرداق ــ بيروت .

يراد تنويره بالاسلام فلا بد ان نقول كلمة قصيرة قبل ان ندرسها بصوره مفصلة في حلقة أخرى ٠

الدراسات النفسية دراسات حديثة استحدثت في جامعات ومعاهد المجتمعات المتقدمة والدول المستعمرة بعد ان استشعرت هذه الدول حاجتها لدراسة نفسيات الشعوب المستعمرة بعد الثورات العنيفه التي قامت بها تلك الشعوب لطرد الغزاة من أراضيها ٠٠ وهكذا انشأت مؤسسات وجامعات ضخمة وباعداد كبيرة لدراسة علم النفس لتغطية الهدف الأساسي من هذه الدراسات ٠٠ وكان نصيب الاسلام من هذه الدراسات كبيرا ٠٠ درس الاسلام في جامعات علم النفس لا لكي يقيم من ناحية موضوعية ولا لكي يحل مشاكل العالم المستعصية بل لتدريس جوانبه الروحية التي تجعل من الانسان يفضل الموت على الحياة في سبيل كلمة حق ويبيع الدنيا بكل مفاتنها واغراءاتها ٠٠ تلك الدنيا الفانية يبيعها ليشتري الحياة الآخرة (وجدنا قوما الموت أحب اليهم من الحياة ٠٠) [1] درس الاسلام في جامعات علم النفس لكي تحلل مركباته الروحية والفكرية وتحلل بعدها نفسية الانسان المسلم ٠٠ تلك النفسية المطمئنة المؤمنة بالله وباليوم الآخر ٠٠ ولذلك كان السم القاتل الذي نثره الاستعمار الصليبي سريع المفعول ٠٠

وقد يتساءل البعض ولماذا كان هذا السم سريع المفعول ؟

فيأتي الجواب قاطعاً كالسيف ٠٠ ان الاسلام مشخص ومدروس ونقاط الضعف في الاماكن التي كان فيها الاسلام يعيش في شهادات الجنسية والهويات وليس القلوب والعقول ، معروفة ومشخصة ٠٠

هذه أهداف دراسة علم النفس الحقيقية الذي طبلت له الطبول الصليبية وزمرت له مزامير » المنافقين ووقف المسلمون في مناطق عدة من

---

(١) قول رسل كسرى عن المسلمين الذين فاوضوهم قبيل تحرير العراق من وثن الجاهلية .

أرض الله وكأن الامر لا يعنيهم من قريب او بعيد •• هذه وقفة قد تكـون عابرة كان لنا ان نقولها قبل دراسة علم النفس والحرب النفسية ضـد الاسلام ولنا عودة لهذا الموضوع في الحلقة الرابعة انشاء الله ••

٤ ـ دراسة التيارات الفكرية المعاصرة واستخلاص عصاراتها الفكريـة في سبيل اعداد دراسات نقدية كاملة عنها وباقلام كفوءة .

والتيارات الفكرية المعاصرة ليست آراءاً فردية لافراد مشتتين هنـا وهناك بل هي أفكار تسندها قوى ومؤسسات عالمية وهذه التيارات تستند الى تنظيم يدفعها الى مختلف الاتجاهات •• وهذه التيـارات كثيراً ما خلبت ألباب الناس لارتدائها رداء العلمية والتقدم كما في الرأسماليـة او ارتدائها صفة التنظيم الاقتصادي وتلاعبهـا بالالفاظ كما في الماركسيـة والاشتراكية •• او ارتدائها صفة التفاضل لجنس دون آخر لمجرد الانتماء لذلك الجنس كما في القومية •• او ارتدائها ثوب الدعوة الى الانحلال الخلقي كما في الصهيونية والميكافيلية •• أو ارتدائها لباس المحبة والسلام وتخفي ورائها الحقد والانتقام كما في الصليبية ••

وهذه التيارات جميعاً تقف ورائها قوى عالمية تمدها بشتى أنواع السلاح المادي والفكري وتغدق عليها بكل ما من شأنه الايغال في التأثير على الرأي العام •• وهذه التيارات الفكرية كلها وجدت لمحاربة الاسلام•• وهي لا تحارب الاسلاب حرب موضوعية شريفة بل انهـا تستخدم شتى الأساليب الملتوية وتمارس شتى أنواع الخداع للوصول الى أهدافها •• فنرى ان الصليبية بدأت الحرب ضد الاسلام بصورة سافرة لا تمسكها القيم الخلقية ولا تثنيها الحدود الموضوعية••واول كتاب صدر بالانجليزية في اوروبا عن الرسول الكريم محمد (ص) في سنة ١٦٩٧ كان بعنـوان « الطبيعة الاصيلة لمحتال تجدها في سيرة محمد » • ونحن نتساءل أهذا عنوان لكتاب يصدر لأناس لهم فكر ومنطق ؟•• انا لا أقول ان مؤلـف

هذا الكتاب غبي .. بل أقول ان مؤلف هذا الكتاب غبي وحاقد في آن واحد ، وحسبك بالغبي الحاقد كيف يكتب وكيف يتهم .. ثم اضف الى ذلك ماذا يمكن ان تتوقع من الذي يكتب عن شخصية ما ولم يدرس تلك الشخصية من مصادرها الاصيلة .. وماذا يمكن ان تتوقع من الشخص الذي أعماه الحقد الاسود في الكتابة عن شخصيــة لم يعرف لها تاريــخ البشرية مثيلا في الرحمة والعطف والفكر والقوة والشجاعة والروحية الى آخر هذه الصفات الملائكية البشرية المشتركة .. الحقد والغباء عنصران اذا لازما الانسان يفقدانه حتى أبسط مقوماته الانسـانية .. اذن يا أيها الكاتب انت تقول ان الرسول الكريــم محمد (ص) محتال والله يقــول لرسوله (ص) :

(فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) آل عمران : ١٥٩ .

لانفضوا من حولك) آل عمران ، ولعلنا نتساءل ولماذا كان رسول الله **يحتال** ؟..

.. أكان يحتال لأنه كان يقول لصحابته :

لأن قومه كانوا يسخرون ويستهزؤن منه ويضربونه بالحجارة وهو يرفع يديه الى السماء ويقول :

(ربي اغفر لقومي فانهم لا يعلمون) ..

.. أكان يحتال لأيه كان يقول لصحابته :

(لو كنتم تعلمون ما اعلم اضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) .

.. فأين بـاب الاحتيـال في هـذا التاريخ المشرق من سجـل البشرية .. أقول ان مؤلف هذا الكتاب ليس مسيحياً بـل هو صليبي حاقد .. لماذا ؟ لأن المسيحية الحقة تؤمن بوجود رسول اسمه (احمد) يأتي بعد يسوع المسيح .. وهذا ليس كلاما نطلقه نحن بل قاله الانجيل قبل حوالي عشرين قرناً .. نجده في انجيل (برنابا) بالذات .. الذي تحرقه الصليبية اينما وجد .. الا يرعوي هؤلاء الجهاة مما يقولون .. أم يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون .. ونقطة اخرى تؤكد ان مؤلف هذا الكتاب هو صليبي حاقد

وليس مسيحيا وهو ان احدا من المسلمين قديماً وحديثاً لم يجرؤ على الكتابة على المسيح (ع) ولم يتهم السيد المسيح (ع) بأنه محتال .. لماذا ؟ لأن الاسلام لا يقبل ذلك ولأن الاسلام يقول ان السيد المسيح من رسل الله فكيف يتجرأ انسان على الطعن في رسل الله .. ونقطة اخرى قد نضيفها ، ان الاسلام لا ينبت عند الانسان الذي يؤمن به هذا الحقد الأعمى وتلك الغمامة السوداء التي تضلل الحقيقة ..

ثم نرى ان مخاوف الصليبية من الاسلام كبيرة ولو قرأنا النص التالي للمؤرخ البريطاني غيبون لرأيناها اكبر واكبر .. قال المؤرخ البريطاني غيبون « لو لم نقهر المسلمين في معركة تولوز لكان القرآن اليوم يدرّس في اكسفورد » [1] .

ولماذا هذا التصور يا غيبون ؟.. يدرّس القرآن في اكسفورد !! لماذا ؟.. قد تعلمون ان الاسلام دين علم يعتنقه العلماء قبل الجهلة والاذكياء قبل الاغبياء .. ولذلك كانت المخاوف تنحصر في امكانية كسب الاسلام لاعداد كبيرة من الناس في المناطق التي ينتشر نوره فيها .. فحاولوا قدر امكانهم تشويه صورة الاسلام الحقيقية في الغرب وذلك كخطوة اولى لفرض المناعة والحصانة الفكرية لدوائرهم الذهنية .. وبعد ان تم لهم ما أرادوا حاولوا نقل المعركة الدائرة بين الاسلام والصليبية الى وطن الاسلام .. وفي هذه المرحلة بالذات بدأ العمل لفصل الاسلام عن الواقع .. وظن الصليبيون ان الاسلام صعد الى السماء وبقي الناس على الارض .. ولكن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن .. فقد هوى الصليبيون وهم ذهول من هول المفاجئة التي هزتهم من اعماقهم وخلعت

---

(١) من محاضرة الصحفي الانجليزي « ارسكن تشيلدرز » بعنوان (صورة العرب في الغرب) ١٩٦٧ ويقصد بالعرب المسلمين .

قلوبهم •• فقد كان الاسلام اقوى مما يتصورون •• لقد انبثق الوعي الاسلامي وانتظم المسلمون الواعون تحت راية الاسلام في مناطق عديدة من ارض الله الواسعة •• هؤلاء المسلمون الواعون اليوم أشد خطراً على الصليبية من أية فئة أخرى في العالم ••

اما القومية فهي ترى ان التفاضل لا بد وان يكون بالجنس واللغة والدم ، لا بالتقوى ولا بالعقيدة •• فلو افترضنا ان شخصا معينا ينتمي الى قومية ما •• هذا الشخص هو فاضل •• لماذا ؟•• لأنه ينتمي الى تلك القومية •• وهو لا حكم له في تكوينه القومي ولا ضابط • وقد حاول الاستعمار والصليبية والتبشير جعل المفهوم القومي مقياسا عاما للتفاضل البشري وذلك لابعاد الناس عن الدين وابعاد الناس عن تفاضل التقوى وتفاضل الايمان بالله والعمل الصالح من أجله ••

وقد اخطأ بعض الاشخاص في تصورهم عندما ظنوا ان القومية كمفهوم يساعد الاسلام في حل مشكلته الحاضرة •• واعتبروا ان عنصر اللغة والدم والعرق مقومات مساعدة لربط هؤلاء الناس برباط الاسلام•• في حين ان الاسلام كان يؤكد دائماً على لسان القرآن الكريم ولسان رسول الله محمد (ص) ما ينفي هذه الفكرة الخاطئة :

(ان اكرمكم عند الله اتقاكم) قرآن كريم ..
و **(لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى)** حديث شريف ..

فلو كانت فكرة القومية فكرة صائبة لقال الله سبحانه وتعالى وهو اصدق القائلين ان اكرمكم عندي هو اكثركم تعصبا للقومية•• وان اكرمكم عندي هو أكثركم عربية أو فارسية أو صينية •• لم يقل مثل هذا •• لأن هذا الكلام كلام البشر •• وفيه الكثير من الزيف والكذب •• ولكن انظر الى قول الله تعالى الصادق :

(ان اكرمكم عند الله أتقاكم) ..

•• اذن اكرم الناس عند الله هو اتقاهم •• ومقياس التفاضل هنا التقوى •• والانسان قادر على امتلاك هذه الصفة والتحكم بدرجتها••

لأن التقوى درجة روحية وعملية تربط الانسان بالله سبحانه وتعالى يستطيع ان ينميها ويصعد بها الى الاعلى بالروحيات في الصلاة والصيام وذكر الله في الليل وبالاعمال الحياتية بصلة الرحم ونصرة المظلوم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويستطيع ان يصون هذه التقوى بالفكر والتأمل ..

في حين ان القومية تؤمن بان مقياس التفاضل هو الجنس والعرق.. والانسان لا يمكن ان يتحكم في جنسه او قوميته فليس له الخيار في القومية الاوروبية او القومية الفارسية او القومية الصينية .. فكما لا يستطيع ان يختار ابويه وهو في بطن امه لا يستطيع ان يختار قوميته وهو كتلة من الخلايا الصغيرة في ذلك الدهليز المظلم الذي لا يربطه بالعالم الحي سوى حبل يجري فيه الدم ..

والقومية عندما تكون بهذا الشكل من التقديس والتهويل تنبت في نفس الانسان شعورا بالتقاعس واللامبالاة طالما ان عرقه وجنسه يشفع له امام الحكام والطواغيت فتراه لا يعمل لأن قوميته تشبعه خبزا وتراه يحتقر عباد الله لان قوميته ارفع من قوميتهم وأزكى وتراه يكابر في الغلو لان قوميته تمتلك مئات الملايين من البشر ولا اقول من الناس .. لان في الناس من هم اكثر عقلا وحكمة من البشر ..

وقد درج بعض الكتاب على اعتبار مفهوم القومية دعوة تبشيرية لان المستفيد الوحيد من جعل مقياس التفاضل (القومية) وليس الدين والتقوى هي الصليبية .. وانا اقول ان هذا الرأي صحيح لحد ما لأن الاسلام عندما كان يحكم الدولة بنظامه الخاص الفريد اجبر أهل الكتاب على دفع الجزية لقاء حمايته لهم .. فشعر هؤلاء بدافع الغيرة والحسد والحقد الذي استشرى في قلوبهم ان الاسلام يصنف الناس الى صنفين

الصنف الاول وهم المسلمين والصنف الثاني وهم اهل الكتاب .. ومعلوم ان المسلمين في وطنهم يمتلكون النظام السياسي والاجتماعي وهذا أمـر طبيعي لان الاسلام يحكم في ذلك الوقت .. فأخذ هؤلاء الناس يتحرقون شوقا لفكر جديد يمسخ صورة الاسلام ويحط من المسلمين درجة ويرفع أهل الكتاب درجة فكان مفهوم القومية بعد المعاناة الشديدة مع انفسهم.. وكان الاسلام بفعل رسالته السماوية السمحاء يسمح لهؤلاء بممارسـة الحرية الفكرية اينما شاؤا وبأية طريقة كانت .. وهكذا نشأت القومية وطبول الصليبية ومزاميرها لا تزال تطبل وتزمر لها لكونها فكرة تستطيع ان تشغل الاسلام الى حد ما بمعارك جانبية قد تلهيه عن معركته الاساسية ضد الجاهلية العاتية ..

وعندما استحدثت فكرة القومية كان الاستعمار يعرف ان هـــذه الفكرة لا تلبث ان تزول ولا تستطيع ان تصمد حتى في اكثر الاوساط جهلا بالاسلام .. لذلك كانت ورقة القومية ورقة خاسرة اساساً بيـد الاستعمار .. لكنها نجحت في بداية عهدها لأن ظهورها صادف ظهـور اول بوادر الوعي الحديث للشعوب المتخلفـة .. ولم يستطـع الوعي الاسلامي الحديث امتصاص هذه الظاهرة لأنه كان وليداً ولأن الاستعمار والصليبية شاخت من التجارب التي خاضتها في حربها مع الاسلام ..

أما الصهيونية فلها مع الاسلام طريق آخر .. فقد استخدمت عنصراً مناوئاً للاسلام وحاولت ضرب الاسلام من خلالـه .. استهدفت عنصر الاخلاق وأخذت تضرب به .. ونادت بضرب الاخلاق حتى تستطيـع ضرب الحواجز التي تقف ورائـه ... ومن ثـم تستطيع ضرب كـل المؤسسات التي تستند على الاخلاق للسيطرة على مقدرات العالم ..

ولما كان الاسلام دين خلق وكان رسوله الكريم محمد (ص) على خلق عظيم فكان اول اصطدام للحركة الصهيونية مع الاسلام في دائـرة

الاخلاق ..

قد يتساءل البعض كيف حدث ذلك ؟

ونقول ان الاستاذ المسيحي الروسي سرجي نيلوس نشر في سنة ١٩٠٥ اول ترجمة فعلية لجزء من الأفكار والخطط الصهيونية واوسمها بـ (بروتوكولات بني صهيون) وقد انعكست آثار هذا العمل الذي هزّ الأجواء الفكرية في العالم في حينها الى قيام الاصابع التي تعمل في الظلام بالتخطيط للانقلاب الشيوعي البلشفي سنة ١٩١٧ الذي أحكم القبضة الحديدية اليهودية على مسلمي ومسيحيي ما يسمى الآن بالاتحاد السوفياتي .. أحكم القبضة على المسلمين وترك الحبل غاربا لليهود ..

ولما كان سرجي نيلوس مسيحيا فقد تصور ان كل الأديان هي المسيحية وان كل تجريح يوجه من الصهيونية للاديان انما يوجه ضد المسيحية .. وقد اخطأ نيلوس في هذا التصور لأن الصهيونية كانت تعرف الاسلام جيدا وتعرف المسيحية جيداً أيضاً . فقد سعت الى ضرب الاسلام رغم معرفتها الجيدة بأن الاسلام جريح في تلك الحقبة الزمنية ، وقد ظنت انها تشارك في احتضاره ، فقد كان لليهود دور في الغاء الخلافة العثمانية ، وكان أحد الثلاثة الذين سلموا الخليفة قرار العزل يهودياً . وكان لنفوذهم في تركيا أكبر الأثر في طرح تركيا للدين الاسلامي وكذلك طرحت تركيا القوانين الاسلامية وحاربت اللغة العربية ـ لغة القرآن الكريم ، وتبرأت من صلاتها بالمسلمين ، لان اليهود ولا سيما « الدونمة » في سلانيك وغيرها ـ وهم يهود يتظاهرون بالاسلام ـ هم الداعون الى الجامعة الطورانية للتخلص من الاسلام واللغة العربية ، وكان لذلك أثره في ان اصطبغ بهذه الألوان حكم مصطفى كمال الملقب أتاتورك وقد كان فيه عرق من « الدونمة » (١) .

---

(١) للتوسع راجع كتاب بروتوكولات حكماء بني صهيون ـ محمد خليفة التونسي ، طبعة ١٩٧٢ .

ن الأفكار والخطط الصهيونية أخطر بكثير من أية أفكار أخرى ظهرت في القرون الأخيرة لكونها تستخدم اسلوب الموت لكل الأشخاص الذين تتنسم فيهم بوادر الاصلاح والتدين والوعي بخطورة الفكرة الصهيونية اولا .. ولكونها تستخدم العنصر اللا اخلاقي في تمييع الثورة والشعور الديني الذي يشتعل في نفس المسلم وعقله وروحه ثانياً وذلك باستخدام عنصري المال والنساء .. وكم اغرى المال والنساء ضعاف النفوس ومنحلي العقيدة .. (**وويل للرجال من النساء**) حديث شريف .. والانسان المؤمن الصابر يستطيع ان يتجاوز هذه المرحلة الملتهبة بعدم الاختلاء بالمرأة الاجنبية حيث نستمع الى عمر بن عبد العزيز وهو يقول : **« لا تختلي بامرأة حتى وان كنت تحفظها القرآن »** .

ونستطيع ان نستقرء الفكر الصهيوني من خلال النقاط التالية :

أ ــ لليهود خطة للاستيلاء على مقدرات العالم عن طريق ضرب الاسلام والمسيحية والأديان الأخرى ووسيلة ذلك هو استخدام عنصر المال والنساء او الموت لتنفيذ هذه الغاية .. وقد بدأت بالغرب والشرق فأحكمت قبضتها على وسائل الاعلام وقبضت على زمام السياسة العالمية من وراء القبض على زمام الصيرفة .

ب ــ العمل في الظلام للاتيان بنظم سياسية تعمل ضد مصالح الامم وبذلك تزيد الشقة بين الامة وولاة الامور مما يجعل التلاعب بمقدرات الامة ميسورا .

ج ــ اثارة النعرات الطائفية وحروب الجار على الجار .. لبعد الانظار عن محاربتها السافرة للاسلام .. واضعاف شوكة الاسلام حتى وان كانت الدول التي تتحارب لا تتقيد بتطبيق الاسلام ..

د ــ يتصور اليهود ان وسائل الاعلام من طباعة ونشر وصحافة

ومسرح وسينما ووسائل التربية من مدارس وجامعات ودور علم والقوانين والمضاربات يجب ان تبقى ورقة رابحة بيدهم الى ان يشاء الله فينتزعها منهم بالقوة ..

٥ ـ دراسة موقع الاسلام من التيارات المعاصرة ووضع تقييم موضوعي لوضع الاسلام الحاضر .

بعد ان انتهينا من دراسة التيارات الفكرية المعاصرة بصورة مختصرة ندرس الآن موقع الاسلام من هذه التيارات ، وبصورة عامة أين يقف الاسلام ؟

ان الأفكار القومية والماركسية والشيوعية والصهيونية والصليبية والرأسمالية والميكافيلية والوجودية تتعارض اساساً مع الفكر الاسلامي .. ففي الوقت الذي تدعو فيه القومية الى التفاضل على أساس اللغة والعنصر والدم (الجنسية) يدعو الاسلام الى التفاضل على أساس التقوى :

(ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .

وفي الوقت الذي تدعو فيه الماركسية الى انكار وجود خالق لهذا الكون وتدعي اثبات الحركة الذاتية للمادة ، يدعو الاسلام الى توحيد خالق هذا الكون ، خالق هذا الكون آله واحد ازلي ليس قبله ولا بعده احد وان المادة حادثة وليست ازلية . وتدعو الشيوعية الى اهدار حقوق الفرد اهداراً فاحشاً وتقديس حقوق الجماعة في حين يدعو الاسلام الى الموازنة بين حقوق الفرد وحقوق الجماعة ، حيث تنتهي حرية الفرد عندما تبدأ حرية الجماعة . اما الصهيونية فنظرتها الى الحياة لا اخلاقية في حين ان الاسلام أكد على الاخلاق وجعل المفهوم الاخلاقي اساساً لمستوى تدين المسلم وقد خاطب الله تعالى رسوله الكريم محمد (ص) : « **وانك لعلى خلق عظيم** » وقال رسول الله (ص) : « **اتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن** » . والصليبية ليس لها فكر يمكن ان يصمد امام الاسلام ، الا انها تستخدم اسلوب

الالتفاف تارة والاسلوب اللا اخلاقي (**الفساد والنساء والاباحية**) تارة أخرى . اما الرأسمالية فقد فشلت حتى في تثبيت أية ركائز نظرية لمفاهيمها لذلك نرى انحراف الشباب الفكري في البلاد التي تحكم سيطرتها فيها عن الفكرة الرأسمالية وتخليهم عن مضامينها وأهدافهـا ، وذلك لكون ان الفكرة لا تعطي مفهوماً فلسفياً لنظرتها عن الحياة والكون والانسان . اما الميكافيلية فقد دعت صراحة الى نبذ الاخلاق من الوجود . ويقـول ميكافيلي صاحب كتاب الامير The Prince : « يجب فصل السياسة عن الاخلاق » ، ويسوّغ مكيافيلي في كتابه هذا مباديء الحكم المنافية للآداب الانسانية ، وهو الذي استحدث مبدأ « الغاية تبرر الوسيلة » . والسياسة التي تستخدم هذه (الحكمة) هي سياسة مكيافيلية .

اما موقف الاسلام من هذه الفكرة فهو موقف صريح وواضح .. فأهدافه في الحياة ثابتة .. لا تتأثر بوسيلة ولا تحيد بواسطة ، كل شيء في الحياة الدنيا واضح له وللاسلام موقف معين . والسياسة الاسلاميـة سياسة تقوم على الاخلاق ، والمبدأ الاخلاقي في الاسلام مبدأ سامي . الامام علي (ع) عندما كان اميراً للمؤمنين كان يختلي بنفسه ليلا ويبكي وهو يقول : « **يا دنيا غري غيري** » . وعندما فتحت بلاد العراق في زمن احد الخلفاء المسلمين أتى رجل على الخليفة وبين يديـه سوادي كسرى وسلمها الى الخليفة .. فما كان من الخليفة الا ان ارسلهما الـى بيت المال .. أبعد هذه الأمانة امانة ؟.. وبعد هذه الاخلاق السياسية اخلاق؟. كان باستطاعة ذلك الرجل ان يبيع الاسورة ويصبح أكبر مليونير في العالم وكان بامكان الخليفة ان يعتبرها هدية يتزين بهما .. فهل حدث من هذا شيء ؟.. فأين الاسلام من المكيافيلية ..

اما الوجودية فهي حركة تعبر عن ضياع الانسان الاوربي في خضم الصراعات الفكرية الكبرى وتفتيشه عن فكر جديد يرقع به افكاره في

الرأسماليــة والديمقراطيــة وذلك باستحداث (فلسفــة) له في الكون والحياة والانســان .

والوجودية والماركسية فكرتان كان للصهيونيــة في تطويرهما دور كبير .. لذلك نراهما اكثر محاربة للاســلام من أية افكار اخرى .

موقف الاسلام من هذه الأفكار واضح كما رأينا .. وبحكم قوة هذه التيارات من الناحية المادية اولا وتعددها من الناحية العددية ثانيــاً وانتشارها على مستوى العالم ثالثاً فاننا نرى مدى بلاغة الجرح الــذي أصاب الاسلام وتعدد الطعنات التي اغرزتها خناجر الفئات الصليبيـــة والصهيونية والشيوعية في قلب الاسلام الجريح ..

ففي الوقت الذي يدعو فيه الغرب الصليبي الى ضرب الاسلام بفتح المدارس التبشيريــة واحكــام السيطــرة على وسائل النشر والطباعــة من صحف ومجلات وكتب ثقافية وتربوية ، والباس حالة الانحلال الخلقي لباساً براقاً من التقدم والتطور .. نرى ان الشرق الماركسي يضرب الاسلام من الناحية الفلسفية والعقائدية وذلك بتفريغ المفهوم الفلسفي الانساني من محتواهــا الاقراري بالله وجعل الشرك بالله او نفي وجوده قمة مــن الفكر ، وقد تغلغلت الفكرة الماركسية في اذهان عديد من الناس لكــون الفترة التي انتشرت فيها هذه الفكرة هي فترة ظهــور الوعي السياسي والاجتماعي للامم المتخلفــة التي ما برحت تبحث عن اسباب تخلفهـــا وانحطاطها عن الركب العالمي السائر نحو المدنية والحضارة الكبرى .. وقد كان أقطاب الفكر الماركسي بعيدو النظر ثاقبي الفكر ، فاستغلوا هذه الفترة الذهبية التي تمر بها الامم المتخلفة وهي نادبة حظها على ما فرطت في تخلفها ، فاستشعروا مشاكلها ودرسوا نفسيتها .. وقد كانت الامــة بحاجة الى من ينقذها من تخلفها الاقتصادي ، فنادوا بالاقتصاد الماركسي كحل ناجع لمشكلات العصر طالما ان هذا الاقتصاد يمكن ان يوفر الخبــز

والجنس للبشر (ويحرمهم الحرية والكرامة) •• واستشعروا حاجـة الامة الى من ينتشلها من هوة التخلف الحضاري ، فنادوا بالمكننة الزراعية ولأسس الحديثة للانتاج الصناعي •• وكان تخلف الامة من الناحيـــة الفكرية لا يمكن ان يوصف بجرة قلم ، فنادوا بالفكر العلمي كوسيلـة لحل المشكلات الحضارية الكبرى •• لقد كانت الامة الاسلامية متخلفـة الفكر وبين يديها القرآن العظيم والفكر الرسالي •• لماذا ؟ لأنها وضعت القرآن والفكر على الرفوف وفي المكتبات المغلقة ، واستمتعت بمشاغل الحياة فكانت متخلفة •• وهي الى هذه المرحلة متخلفة لأن ما يقرأ من الكتب لا يوازي عشر ما تقرأه أحط الامم تخلفا على الارض •• ولأن ما يطرح من فكر على هذه الامة أقل ما يقال عنه انه ليس بفكر بل حثالات الفكر •• والاسلام وفكره غريب في هذه الامة •• قد تعجب لظهور كتاب يتحدث عن الاسلام ولا تعجب ظهور مائة كتاب تتحدث عن الامبريالية والادب الشعبي والحب ونافذة على الغرام وقولوا له انها تحبك وأسس الشطرنج ومقومات النرد والامثال البغدادية والتراث الشعبي •• وتراثنا الأصيل مفقود •• تراثنا مفقود لأن الأيدي التي تعمل في الظلام بيدهـا كل وسائل الأعلام وبيدها (المفكرين) المأجورين وبيدها (الأدبـاء) المرتزقـة •

ان كان الاسلام جريحاً فقد علمنا رسول الله كيف نداوي الجرح •• وعلمنا الرسول ان الاسلام جاء غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء •• ان الجرح بقدر ما يولد الالم والمرارة يولد معهما الشعور بالاصرار على تحدي الواقع وعلى تشخيص الذين يطعنون •• ويولد معهما الشعـور بالثورة على الجاهلية المنغمسة حتى اذنيها بالشرك والوثنية ••

ان مواقع الاسلام كثيرة في الغرب والشرق وفي كل انحاء العالم •• وقوة موقع الاسلام تكمن في قوة اشخاصه الفكرية والعقائدية وشفافيـة

الروح التي يمتلكها هؤلاء الاشخاص •• فنرى انه في الوقت الذي يهبط فيه المستوى الاسلامي (ونقصد به الفكري والروحي والعقائدي والتطبيقي) في البلاد التي تدعي الاسلام وينطق اهلها بالعربية نراه يرتفع هذا المستوى ارتفاعاً شاهقاً في بلاد مسلمة لا تتكلم العربية كالباكستان واندونيسيا مثلا •• ونرى هذا المستوى يرتفع ايضا في بلاد لا هي مسلمة ولا هي تتكلم العربية •• مجرد وجود اشخاص مثقفين يطبقون الاسلام على انفسهم أولا ويشعرون بغربتهم وغربة الاسلام ثانياً جعل من هذه المواقع سدودا حصينة للاسلام وأمثلة حية لمدى واقعية الاسلام •• هذه البلاد كانت في يوم ما من أكبر معاقل الاستعمار ••• وهي الآن تنوء بحملها الاقتصادي الثقيل ••

ولو استقرئنا الواقع لرأينا كيف ان الاسلام انتشر في افريقيا وآسيا •• ذلك الانتشار الذي أرهب العدو فحاربه ، وكيف استمات المسلمون في تلك الاصقاع في الدفاع عن عقيدتهم واسلامهم وهم عزل من السلاح •• وحروب التحرير الاسلامية لا تزال تستعر في بقاع شتى من ارض الله ••

انه الاسلام الذي يصنع من البشر ملائكة ويخلق كما يقول شاعر الاسلام الدكتور محمد اقبال « في جسم الحمام الرخو قلب الصقور والاسود » • فسلاح الاسلام الاول هو الايمان •• به يحارب وبه ينتصر وبه يكسب الناس وبه يقيم دولة الحق على ارض الله •• والايمان بشيء قد يكون لنا معه كلام •• اما الايمان بالله فلا يعبر عنه كلام •• ولا تصفه جرة قلم •• فهو وان كنا نقول انه تعبير انساني طبيعي لمخلوق صغير امام خالقه الكبير •• وهو فيض من الشعور يستملك الانسان وهو في أوج نضوجه العقائدي والرسالي •• وهي اشواق عليا تربط الانسان بخالقه بحبل روحي متين •• الا اننا لا نستطيع ان نستوعبه من خلال القراءات

والمناظرات .. قد تكون هذه الوسائل عمليات مساعدة .. لكنهـا في الحقيقة ليست هي جوهر الايمان .. فلو تسائل متسائل ما هو الدافـع الذي يدفع الانسان في ان يضع رجليه فوق منصة الاعدام باختياره .. وأقول باختياره لأنه مؤمن بان الله واحد ووصل الى منصة الاعدام لأنـه قال جهرة ان الله واحد لا شريك له .. وقالوا له اما ان تحيد واما ان نقتلك فقال اقتلوني لأرى ربي وأنا مظلوم .. فلو تسائل ذلك المتسائل لماذا يموت الانسان في سبيل الله وهو مطمئن البال مرتاح الضمير .. يموت وهو هكذا لأنـه مؤمن وفي قلبـه فيض من الايمـان بالله وفي روحه شفافية توصلـه بالله العزيز القدير وفي عقلـه فكر لا يتبدل وعقيـدة لا تتزعزع ..

يقول رسول الله (ص) عن الايمان .. ان الايمان هو :

« ان تؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

وقال (ص) : **« ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد رسولا »** .

ان الاسلام الذي صنع من البشر اناسـاً بهذا الشكل قادر علـى مقارعة الطواغيت والجبابرة وقادر على محاكاة الشعوب والامم المتخلفة منها والمتقدمة .. فمقارعة الطواغيت والجبابرة امر يستوجب وجودعناصر ثورية مثقفة تؤمن بأن الجهاد بالسلاح والكلمة مفهوم اسلامي قبل ان يكـون مفهوماً لجيفارا وهوشي منه . والله يقول في كتابه الكريـم :

« يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ، ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيـا في الآخرة الا قليل » التوبة : ٣٨ .

وعاقبة التقاعس عن الجهاد في الاسلام هي قول الله تعالى :
« الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا » التوبة : ٣٩ .

اما محاكاة الشعوب والامم .. فواجبنا امامها بعد ان نحاكي انفسنا هو ما يلي :

١ ـ عرض الاسلام عرضاً مبسطاً مفهوما بعيدا عن العاطفة .. وهذا يتم بعد دراسة وتخطيط مسبق .. حيث يجب على العارض ان يلم بلغة تلك الامم والشعوب الماماً شاملا حتى يعرف من اين يبدأ وأين يقف .. وان يستخدم في مخاطبة تلك الشعوب الكلمة المسموعة والكلمة المكتوبة حيث ان تأثيرها على الامم بليغاء يقول بعض رجال الاعلام انه ليس المهم ان تنقل الفكر على الامم بليغاً . يقول بعض رجال الاعلام انه ليس المهم ان تنقل الفكر والاعلام الى شخص آخر او طرف آخر .. انما المهم ان تعرف طريقة تحويل الافكار الى لغة او شعور يفهمه الطرف الآخر .. فلكل امة تعبيرها الخاص واختباراتها الخاصة في الحياة ولكل امة خلفيات تاريخية ورواسب اجتماعية .. ولا يمكن ان تتشابه امتان في كل شيء ابداً .. فللامة الاسلامية مقوماتها وأسسها الفكرية والعقائدية ، وللامة الجاهلية (اذا وجدت هذه الامة التي تؤمن بهدف واحد) مقوماتها وأسسها .. ولا يمكن ان يلتقيا ابداً ..

اذن لا بد من دراسة الطريقة الصائبة التي يجب ان يتخذها الانسان أساساً في عمله لتحويل الفكر الاسلامي الى لغة تفهمها تلك الامة .. فمثلا اذا حاولنا القاء محاضرة سياسية عن الاسلام أو اذا اعددنا كتيبا اعلامياً او بحثا تسجيلياً او مقالة لصحيفة اجنبية ، او اذا صنعنا فلماً اعلاميا عن الاسلام وجب قبل أي شيء آخر صياغة هذه المواد كلها صياغة جيدة بلغة الامة التي سيعرض عليها هذا الانتاج وباسلوب منسجم الفكر الاسلامي فيه مع منطق تلك الامة التي تؤمن بالعلم طريقا واسلوبا في الحياة

فان الإسلام يؤمن بالعلم ولكنه لا يتخذ العلم آلهـاً يعبد او اسلوبـاً يحتذى .. وان كانت الامة تقدس فرج المرأة (اليابان) فان الاسـلام يقدس ما هو اسمى وأرفع من ذلك .. يقدس الذي خلقنا من عدم .. يقدس الذي خلق السموات والارض في ستة ايام .. يقدس الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد .. واذا كانت الامة تغوص في الجاهلية حتى أذنيها ، حيث الربا والزنا والفجور والكذب والغش والخداع .. فان منطق الاسلام وهدفه هو انتشال هذه الامة من مزالق الربا بالعدل الاجتماعي وزكاة المال ، والزنا بالـزواج وبنـاء الاسرة السعيـدة ، والفجـور والكذب والغش والخداع بالتقـوى والصدق والامانـة والصراحـة ..

يقول بعض المفكرين [1] انه من الخطأ قلع الرواسـب الذهنيـة والنفسية عند الامم والشعوب مرة واحدة ، وقد يكون هذا القول صائباً اذا كانت العملية عملية ترقيع ، اما اذا كانت العملية عملية تثوير فانالمسألة هنا تختلف ولكن اختلافها لا يعني ان الاسلام يجب ان يوضع مرة واحدة في ذهن الامة ..

(وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) الفرقان : ٣٢ .

ولكـن الاسـلام عندمـا يعرض عرضا شاملا فان هذا العرض كافي لأن يخلـق عنـد الانسـان المتحرر من الرواسـب الوثنيـة ، يخلـق عنـده شعـورا بالايمـان بالله وبالنـدم لمـا فرّط في جنب الله .. وهذا الشعـور قـد يتبلور الى ايمـان حقيقي اذا توفـرت أمامه بعض الجوانب التطبيقيـة الحيـة للاسـلام .. وهذا الموقف قد يبدّل حياته تبديلا تاما ويغيره تغييرا شاملا .. فينتزع ثوب الجاهليـة

(١) تخطيط الاعلام العربي ـ عقيل هاشم ١٩٦٨ .

ويغتسل غسل الايمان ويلبس ثوب الاســلام •• كما حصل للكثير من الوثنيين والمسيحيين •

٢ ـ تحويل المبالغ التي تصرف في غير موضعها الى صندوق خاص ينشأ لهذا الغرض ويسمى بصندوق الاعلام الاسلامي مهمته تقييم وطبع الكتب الاسلامية والاشراف على تصديرها وتوزيعها في كل انحاء العالم ، وباسلوب متقن وبلغة يفهمها عباد الله في تلك البلاد ••

وان كان بعض الناس يتصورون ان هذا العمل صعباً ان لم يكــن مستحيلا ، فهم ليسوا على صواب لان الاموال التي تصرف على تصدير كتاب اسلامي بالفرنسية او الاسبانية مثلا افضل بكثير من صرف الاموال الطائلة على مهرجان شعري او ندوة أدبية تبــدأ وتنتهي ؛ والحاضرون ينتهون مع نهاية الندوة والمهرجان •• وان ارسال القطع الفنية الاسلامية الي دولة ما لا يخدم الاسلام بشيء •• لاننا بحاجة الى فكر نطلع به الى العالم •• ونحن بحاجة الى ثقافة وعلم وتحليل وتشخيص •• وحــل فلسفي لمشكلات العالم الكبرى •• ان العثور على القطع الفنية لا يعني اننا متحضرون الآن •• ان من الواجب علينا ان نهتم بالفكر والعقيدة قبل ان نهتم بما خلفه السابقون من مواد •• احرى بنا ان نهتم بما خلفوه من فكر وعلم •• انها ليست مفخرة •• فالمفخرة من خلف علماً وهو من العباد الصالحين عند رب العالمين •• المفخرة ان يقف الانسان امام رب العالمين ويقول : رب ارحمني فقد جاهدت في سبيلك بالكلمة والحرف •• وقتلت في سبيلك •• وليس لي أحد يرحمني غيرك يا رافع السمــاء بلا عمــد ••

(فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم * والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم) الحج : ٥٠ ـ ٥١ .

٣ ـ النظر في امكانات تجميع وتوحيد العناصر المؤيدة للاســلام

في حركات ومنظمات ثورية وثقافية وسياسية تجمع الطلبة والشباب المثقف في جميع انحاء العالم .

وقد ذكرنا سابقاً ان للاسلام مواقع في جميع انحاء العالم .. وان هذه المواقع تختلف قوتها باختلاف قوة اشخاصها الفكرية والروحية والعقائدية .. والاسلام عندما ينبت في قلب الانسان فانه يزرع في عقله شجرة التنظيم .. لنرى كيف يحدث ذلك ؟.. لنأخذ مثلا الصلاة .. ان الصلاة باوقاتها الخمسة تجعل يوم الانسان المسلم مقسم الى خمس اوقات .. الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء .. فهو يصلي الفجر ويقرأ قرآن الفجر لأن قرآن الفجر قرآن مشهود
(ان قرآن الفجر كان مشهودا) الاسراء : ٧٨ .

ثم يعمل عمله الاعتيادي الذي هو مصدر رزقه ثم يصلي الظهر ويرتاح قليلا ليبدأ العمل ثم يصلي العصر ويرتاح ويقرأ ثم يصلي المغرب ليرتاح ويأكل ثم صلاة العشاء .. وترك الليل مفتوحاً (نافلة) فمن شاء تهجد في الليل وأجره عند الله اعظم
(ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا)
الاسراء : ٧٩

.. فاليوم مقسم ومنظم ومبرمج عند الانسان المؤمن بالله .. فهو بدأ بتنظيم نفسه قبل تنظيم مجتمعه .. ولنأخذ صيام رمضان ... ان المؤمن على موعد كل عام مع رمضان حيث تفتح ابواب السماء وتقبل التوبة ويستجاب الدعاء وتغتفر الذنوب .. ولما كان العمل العبادي في الاسلام على هذا الشكل من البرمجة والتخطيط .. فان العمل الاعلامي (الدعوة الى الله) لا بد ان يكون أكثر تخطيطاً وبرمجة .. ولما كان العمل الجماعي افضل وأكثر انتاجية من العمل الفردي فقد كان الاسلام يدعو المسلمين للعمل الجماعي وبوجوب مصاحبة الجماعة .. ولما كان الاسلام اكثر ما يعيش وينتشر في

الاوساط وبين الشباب المتحمس الثائر •• فان هذه العناصر الاربعة •• البرمجة والجماعة والعلمية والتجديدية كافية لان تجعل من الاسلام قوة ثورية هائلة تكتسح كل الهياكل الجاهلية التي تعبد الانسان وتحطمهـا وتقيم على انقاضها دولة الله في الارض ••

ومن هنا كانت الضرورة لاقامة الائتلاف الاسلامي بين الشبـاب المثقف المؤمن بالله في المجتمعات الكافرة بالاسلام •• وهذا ما يجعل العمل الاسلامي أكثر تنسيقاً وأكثر فاعلية ••

هذه النقاط الثلاثة قد تكون مهمة في عملية دعوة ومحاكاة الامم الى الله ••

٦ ـ دراسـة الاسلوب الافضل للاعلام الاسلامي الحديث •

نأتي الى النقطة الاخيرة من النقاط الست التي ذكرناها سابقاً وهي دراسة الاسلوب الافضل للاعلام الاسلامي الحديث •

ان الاعلام بمفهومه الحديث اتخذ بعداً سياسياً خطيرا واصبـح علماً يدرس في الجامعات قبل ان يطبق على عباد الله •• وأصبح فنـا تصاغ اشكاله وتنتقى ألوانه قبل ان تسقط عليه انظار الناس فيجتذبهـا اجتذاباً •• واصبح الاعلام يشكل جزءاً كبيرا من وقت الانسان •• فهذا الانسان يقرأ الصحف ويتصفح المجلات ويستمع الى الاذاعات الصوتية والمرئية ويحضر المهرجانات الادبية والشعرية ويدخـل دور (السينما) والمسرح •• ويقرأ الكتب والموسوعات •• في كل مادة من هذه المـواد ينتشر المنتفعون والمأجورون وطالبي الوجاهة ، وعناصر التخريب الفكري والروحي والذين يتصيدون في الماء العكر •• وتجد في بعضها (وهـم قليل) من وضع خوف الله في تصوره •• واتخذ الاسلام ديناً •• وجاهد بكلمة الحق المبين وشهادة النور اليقين ••

فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ـ الاحزاب : ٢٣ .

وكمدخل لدراسة الاعلام الاسلامي لا بد لنا من تحديد نقطتين :

النقطة الاولى : هي ان الاعلام الاسلامي يستند على ثلاث ركائز اسلامية نستقي منها مفهومنا الاعلامي .. القرآن الكريم وأحاديث الرسول (ص) ، ثم احاديث الائمة (ع) والصحابة رضوان الله عليهم التي هي امتداد لمصدري التشريع والفكر (الوحيدين) القرآن والسنة ..

النقطة الثانية : طالما كانت الركائز ثابتة فان وسيلة البناء قد تتغير من اسلوب لاسلوب ومن عصر لعصر ومن شخص لآخر وهذا لا يضير الركائز التي سحبناها على هذا الاعلام .. فالوسائل تتبدل وتتغير ، لكن المبدأ والعقيدة ثابتان في القلب والعقل والشعور ولا يتزعزعان ..

ولنأخذ النقطة الاولى في دراسة الاعلام الاسلامي وهي الركائز .. وافضل هذه الركائز وازكاها هي كلام الله سبحانه وتعالى ومن احسن من الله قيلا لقوم يفقهون .. يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

(**وانذر عشيرتك الأقربين**) الشعراء : ٢١٤ . ويقول تعالى : (**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ..**) العنكبوت : ٦٩ – ويقول ايضا : (**نحن اعلم بما يقولون ، وما انت عليهم بجبار ، فذكر بالقرآن من يخاف وعيد**) سورة ق : ٤٥ . ويقول تعالى : (**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ، ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين**) النحل : ١٢٥ .

فالامر الآلهي هنا هو الدعوة الى الله .. والدعوة الى الله لهما أسس انذارية او تربوية .. وتتحدد هذه الاسس عندما تتحدد البيئة التي ندعو بها الى الله .. فالانذار للعشيرة الاقربين الذين يعرفون الدعوة ويفهمون الدين ولكنهم يعرضون عنها كبراً وغطرسة .. والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة عندما يتطلب الامر دعوة تربوية للذين يفهمون منطق الحياة .. وقوله تعالى :

(**نحن أعلم بما يقولون، وما أنت عليهم بجبار ، فذكر بالقرآن من يخاف وعيد**)

هي تبليغ صريح للانسان المسلم بوجوب الدعوة الى

الله ... ولـم يشترط الله سبحانـه وتعالى في الآيـة الكريمـة استجابة الطرف المقابل لان الذي خلق النفس البشرية قادر على استقراء بواطنها الخفية .. ومداخيلها المجهولة .. فعندما يكتمل عنصر التبليغ لا يعني ان عنصر الاستجابة قد تم أيضاً .. لأن النفس البشرية امـارة بالسوء ، والنفس مجبولة بالفجور والتقـوى .. فمن شـاء استخرج الفجور وبلور التقوى .. ومن شاء دفن التقوى وغرّتـه الأماني فخسر الدنيا والآخرة (**ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها**) .. والنتيجة (**قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها**) .. الشمس : ٧ ــ ١١ .

ان القرآن كتاب رسالي يدعونا الى تبليغ اسمى رسالات السماء الى البشر جميعاً .. وقد حدّد القرآن الهدف وضمنه الحكمة والموعظة والجهاد القتالي وترك لنا الاسلوب الذي يتلائم مع العصـور .. ففي زمن الصحف والمجلات والتلفزيون جاز لنا ان ندعو الى الله بهذه الوسائل التي اصبحت عناصر مهمة في حياة البشر .. وفي زمن الكلمة المنقولة يوم كانت الكلمات تكتب بشق الأنفس على جرائد النخيل وجلود الغزلان كان لنا ان ندعو الى الله بألسنتنا ومنطقنا وكان لنا ان نجوب في الاقطـار ونسيح في الامصار داعين الى الله الواحد القهار ..

فالاسلوب الاعلامي مفتوح .. اما الهدف والمبدأ فلا بد ان نعرف من أين نبدأ وأين ننتهي ..

والقرآن هو كتابنا الاول في التنظيم والبرمجة والتخطيط .. ولا عجب فهو كتاب الله الذي بنى الكون وخطط الحياة بستة أيام ثم استوى على العرش ..

وثاني الركائز احاديث وسلوك الرسول الكريم محمد (ص) ...

يقول الرسول الكريم (ص) بشأن الشائعات وضرورة دحرها :

(كفى بالمرء كذبا ، ان يحدث بكل ما سمع) (١) .

ويقول (ص) :

(أمرت لاخاطب الناس على قدر عقولهم) .

ويقول (ص) :

(الحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو احق الناس بها) .

ويقول (ص) أيضا :

(خذوا الحكمة من اي وعاء خرجت) .

... وهـذه الأحاديث على قلتهـا كافيـة لاعطائنـا تصـور اسلامي عن مفهوم الاعلام .. فمخاطبة الناس على قدر عقولهم وعلـى اساس مستواهم الفكري موضوع جدير بالدراسة .. فالداعية المسلم يجب ان يكون قادرا على التصرف باللغة التي يتكلم بها اهل البلاد في اللقاءات والمناقشات التي تعقد في تلك البلاد .. وان يكون قادرا على الاقناع بالنطق الهادىء الذي تقبله كل العقول ويعمل على تدعيم حججه بالوثائق والحوادث بتفاصيلها وتواريخها وارقامها دون الرجوع الى الورق اذا أمكن . يضاف الى ذلك ميزة مهمة أخرى هي القدرة على التفريق بسرعة بديهية بين الموقف التي تستدعي هجوماً والمواقف التي تستدعي تراجعاً مرحلياً (تكتيكياً) لابقاء المستمعين في قبضته وتحت تأثيره ..

والحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو احق الناس بها .. والبحث عن الحكمة يجعل الانسان على اتصال دائم بالفكر .. ويقوده هـذا الاتصال الى الاتصال بالله تعالى .. ويقوده الاتصال بالله تعالى الى ترسيخ ايمانه وجعله في بحبوحة من الروحانيات وفي رغد من الاطمئنان القلبي الذي لا يجده في أي مكان في العالم الا في قلبه ..

هذا هو الطريق الذي يحدده لنا رسول الله محمد (ص) في توجيه الاعلام والدعوة الى الله ..

---

(١) بغية كل مسلم من صحيح الامام مسلم ، المراكشي ١٩٦٩ .

والركيزة الثالثة : أحاديث الائمة (ع) والصحابة رضوان الله عليهم..
ليقـول الامام علي (ع) :

« من نصب نفسه للناس اماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره . وليكن تهذيبه بسيرته قبل تهذيبه بلسانه، ومعلم نفسه ومهذبها احق بالاجلال من معلم الناس ومهذبهم » .

ويقول الامام جعفر الصادق (ع) وهو يخاطب دعاة الاسـلام :

« كونوا لنا دعاة صامتين » ويقصد الامام بالدعاة الصامتين .. الذيـن يعملون اكثر مما يتكلمون والذين يفعلون اكثر مما يقولون .. والذيـن يجسدون الاسلام بسلوكهم وتصرفاتهم لا بأفواههم وبألسنتهم .. هؤلاء هم الذين وصفهم القرآن بعباد الرحمن .. الذين يمشون على الأرض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ..

النقطة الثانيـة في دراسة الاعـلام هو الاسلوب والوسيلـة ..

والاسلوب يتدخل في تحديده شيئان الوسيلة والشخصية .. والوسيلة تلعب دوراً فعالا في ايصال الاعلام والفكر الى الناس .. وتختلف الوسيلة من عصر لآخر .. فقد كانت في زمن الرسول (ص) تعتمد على الانسان بصورة كاملة في نقل الاعلام والدعوة الى الله .. وذلك لعدم وجـود الاجهزة الالكترونية الحديثة في ايصال الاعلام الى عباد الله الصالحـين منهم والمفسديـن ..

والانسان المسلم في تلك الحقبة الزمنية كان يمتلك الشخصية التي تؤهله لتغيير العشرات من الجاهليين .. وشخصية المسلم تعني : سلـوك حسن .. اخلاص في النية .. تأدية في العبادات .. قيام في الليل ، حـل لمشاكل الناس ، بعد في النظر ..

وتغيرت الوسيلة تغيرا كاملا .. ولكن الانسان لم يتغير .. ولـو تفحصنا الفقرة التالية لرأينا كيف ان الانسان لم يتغير ..

« حاولت بعض الدول الاستفادة من العقل الالكتروني في ترجمة نشرات الأخبار ، وتمت الترجمة فعلا من كافة لغات العالم الى لغة هذه الدولة على الآلات اللاقطة . ولكن ثبت ان هذه الترجمة لم تكن مفيدة بالقدر المطلوب ، وكان لا بد من الاستعانة بالعنصر البشري لتصحيح الترجمة . وبذلك اصبحت النتيجة ان العقل الالكتروني لا يصلح للترجمة الدقيقة وخاصة في المواد السياسية التي تغير كلمة واحدة منها كل مفهوم الخبر ، وتقلب نظام الدول » [1] .

اذن فالعنصر البشري مطلوب في كل الحالات بغض النظر عن وجود العقل الالكتروني او وجود التصوير الفوتوغرافي للصحف او وجود الاتصالات السلكية واللاسلكية او وجود الأجهزة الالكترونية المعقدة ..

الموضوع هو ان الوسيلة لا تتكامل بدون وجود الشخصية ... مستقلة ، كانت تعمل في السابق بقوتها ولا تستعين بالوسائل .. وجاء زمن الوسائل وبقيت الشخصية محتفظة بحيويتها وهيبتها .. فالانسان شيء والاجهزة الالكترونية شيء آخر .. الانسان يمتلك نشاطا حيوياً بيولوجياً لا يوجد له مثيل في أي جهاز الكتروني .. والانسان يمتلك شعوراً داخلياً لا يوجد له نظير في الآلات ومكبرات الصوت .. والانسان يمتلك احساساً باطنياً له قدرة الايعاز للعقل بالهجوم والانسحاب لبقاء الطرف الآخر في قبضة ذلك الانسان ..

ان التقاء وسيلة اعلامية حديثة وربطها بشخصية قوية ذو هدف وتأثير ، كفيل بجعل الاسلوب الاعلامي اسلوب كفوء يستطيع مجابهة الحاضر بكل رواسبه ومشاكله ومساوئه .. وربط الحاضر بالماضي تخطيط ينبع من صلب الاسلام .. لان الماضي يعني الاسوة الحسنة

---

(١) الاعلام والدعاية ــ محمد عبد القادر حاتم .

واستلهام العبر واستقراء التجارب ، ولأن الحاضر يعني ان الانســـان لا بد وان يعيش يومه •• يعمل ويدعو ويعبـد •• فان زمـن الابراج العاجية وزمن سراديب المفكرين قد انتهت وان العالم الآن يعيش الواقع والموضوعية •• ولا يمكننا فهم الواقع اذا نزلنا الى سراديب المفكرين أو اذا صعدنا الى ابراجهم العاجية •• لان فكرنا •• فكر معاناة وألم •• فكر جرح ومأساة •• فكر ثورية وعمل •• هذا الفكر بحاجـة الى ان يكون موضوعياً وواقعياً أكثر مما يكون سلما للصعود ••

الفكر الجريح يستطيع النفوذ الى القلب والعقل •• ونقول جريح لأنه عانى كثيراً من الضربات •• وكان أقوى منها جميعاً فصمد وانتصر وصبر فظفر ••



(٢)

هناك من يلخص المفهوم الاعلامي العام بالسلسلة الاعلامية المترابطة .. والسلسلة الاعلامية الاسلامية تتكون من الحلقات التالية :

١ ــ رجل الاعلام الاسلامي .

٢ ــ الفكرة الاسلامية .

٣ ــ وسيلة الاتصال .

٤ ــ المرسل اليه .

٦ ــ التأثير .

٦ ــ المؤثرات .

٧ ــ السلوك أو رد الفعل .

ونأتي على هذه النقاط بالشرح والتفصيل ..

١ ــ رجل الاعلام الاسلامي :

تناولنا هذا الموضوع في مواضيع مختلفة من هذا الفصل .. ولكننا لا ندع هذا الموقف يمر دون تعليق .. هناك أربعة سمات المفروض ان يتسم بها رجل الاعلام المسلم وهي : الشورية .. العقيدة .. التفكير والروحية .. تكريس مجمل الحياة من اجل الاسلام ..

والانسان المسلم يؤمن بالثورة فهي طريقه الى الدنيا والآخرة .. ولأن تدينه يستحثه في الليل والنهار بالجهاد في سبيل الله .. وان الموت تحت حبل المشنقة او تحت حافة السكين أو امام سيل الرصاص المنهمر هو اهون بكثير من عذاب الله الذي لا يطاق .. وثمن الشهادة محفوظ ومضمون في البنك الآلهي .. وهذا البنك لا يعطي ضمانات في التأمين على الحياة او شهادات استثمار أو فرص توفير او فوائد على حساب الودائع .. هذا البنك الآلهي يضمن الجنة لمن يقتل في سبيل الله أو يموت شهيداً .. وهذا البنك يضمن المظلومين الذين تقطعت بهم اسباب التملق والوجاهة والسلطان فعاشوا معذبين تحت السياط ..

والعقيدة مخ العبادة فهي التي تدفع الانسان المسلم للعمل وهي التي توثق الصلة بينه وبين خالق السموات والارض .. وهي التي تجعله دائماً على المحك حيث تتحطم المغريات واغواء الشياطين على صخرة العقيدة .. وهي التي تدفع الانسان للدعوة الى الله ..

والتفكير والروحية ... عنصران اذا توافرا في جسد انسان مؤمن اكسباه شخصية قوية وايمان فذ وتفاني في العمل ونكران في الذات ليس له مثيل .. ورجل الاعلام الاسلامي ملزم ان يكرس كل حياته للدعوة الى الله .. فعليه ان يغرق كل سفنه حتى لا يفكر بالعودة الى الشاطىء مرة أخرى ..

وبهذا يكون رجل الاعلام المسلم انساناً ملتزماً مفكراً عقائديا ثوريا يؤمن بأن طريق الاسلام لا يتم الا عن طريق الثورة والفكر والاعلام الثوري الهادف ..

٢ ـ الفكرة الاسلامية :

ان الفكرة هي اساس العمل الاعلامي وبها يتم تغيير المجتمع ، والاسلام لا يحتوي على فكرة فحسب بل فكرة وهدف .. وقد عرضنا جوانب من الفكر الاسلامي وسنعرض على مدى السلسلة جوانب اخرى من هذا الفكر ..

يحدد بعض رجال الاعلام [1] شروط الفكرة كما يلي :

أ ـ يجب ان يوضع للفكرة او المواد المتعلقة بها ، تخطيط وان تكون مدروسة علمياً بعد تحليل اتجاهات وميول الرأي العام .

ب ـ يجب اختيار احسن وسيلة اتصال بالأمة لتوصيل الفكرة الى المرسل اليه ..

جـ ـ ان تكون الفكرة واضحة ومفهومة عند المرسل اليه .

د ـ ان تتمكن الفكرة من ان تحقق فعلا التأثير والاستجابة والسلوك المطلوب .

هـ ـ ان يكون التأثير والاستجابة والسلوك المطلوب من المرسل اليه مما يمكن ان ينفذه .

و ـ ان تخدم الفكرة مصالح المرسل اليه ، وان يكون في حاجة اليها ..

ز ـ التأكد من ان التأثير والاستجابة والسلوك المطلوب هي في جانب الصالح العام . لذلك يجب ان تكون وسائل الاتصال قد وضعت

---

(١) الاعلام والدعاية ـ نظريات وتجارب .. دكتور محمد عبد القادر حاتم (١٩٧٢) ، وقد اقتبسنا بعض الفقرات المهمة من هذا الكتاب ..

الفكرة لتدفعها الى عقول الامة ، اما لتقتنع بها الامة او لتنزع من عقولها فكرة اخرى . ومحصلة كل هذا هي الوصول الى سلوك معين .

ح ـ ان تكون الفكرة المعروضة قد درست وناقشت الآراء المعارضة لها وان يعلم المرسل اليه هذه الافكار وهذه الآراء المعارضة مقدماً مع تفنيدها واظهار خطئها .. وبذلك يتحصن المرسل اليه ضد أي فكرة ..

ط ـ يأمل المرسل اليه ان تكون الفكرة المرسلة اليه ملائمة او متفقة مع افكاره او تؤيدها . اما اذا كانت الفكرة لا تتمشى مع افكاره فقد تجد صعوبة لدى عقل المرسل اليه ليصدقها .

ي ـ يجب ان تكون الفكرة المعروضة غير مصاغة في صيغة أمر او استكبار او استعلاء على المرسل اليه ، فالمرسل اليه يجب دائماً ان يشارك في صنع حياته بنفسه وأن يأخذ هو القرار ويستجيب طواعية بعد اقتناع ..

ك ـ ان تكون الفكرة متفقة مع المجتمع كله ان أمكن لأن المرسل اليه يريد عادة ان يحقق أفكاره بشرط ان يسلك السلوك الذي ترضى عنه الجماعة التي يعيش فيها .

هذه النقاط يمكن دراستها وتحديد بعض اخطائها من خلال استقراء مصادر التفكير الاسلامي .. فالنقطة (ط) والنقطة الأخيرة يمكن ان تكون غير عملية بالنسبة الى الدعوة الاسلامية في مجتمع جاهلي يستوجب تحطيمه بكافة الوسائل التي يمكن استخدامها ..

٣ ـ وسيلة الاتصال :

وتتنوع هذه الوسائل حسب طبيعة المرحلة الزمنية فوسائل الاتصال في عهد الرسول محمد (ص) تختلف عن وسائل الاتصال في القرن

الثامن الهجري وهذه تختلف عن وسائل الاتصـال في القرن الرابع عشر الهجـري ..

ووسائل الاتصال في الحقبة الزمنية الحالية متعددة ومتنوعة فمـن الوسائل المقروءة كالصحف والمجلات والنشرات الى الوسائل السمعيـة كالاذاعة والندوة والخطابة والمناقشـة الى الوسائل البصرية السمعيـة كالتلفزيون والمسرح والسينمـا وانتهاءاً بالوسائل الشخصيـة كالمقابلـة والمحادثة وغيرها ..

وكل هذه الوسائل يمكن ان تستخدم بنجاح للدعوة الى الله .. خاصة اذا احسن اختيار وانتقاء العاملين في هذه الحقول ..

٤ ـ المرسل اليـه :

على رجل الاعلام ان يكون على بينة مما يلي في دراسته لشخصية المرسل اليه : ان لكل فرد او امة ذوقها الخاص وثقافتها الخاصة ولهـا مفاهيمها ومعتقداتها وبيئتها وتطلعاتها الخاصة . وعلى هذا فان الداعي لله يجب ان يعرف مع من يتعامل .. يدرس آراؤه وأفكاره ورواسبـه وخلفياته التربوية ثم يدعوه بعد ذلك الى النظام الذي يعتقده ..

٥ ـ التأثير :

يجب ان ننظر الى الفكرة على ضوء عوامل مختلفة لكي تؤثر في عقل المرسل اليـه ، حيث ان المرسل اليه عندما تصله الفكرة يتلقاهـا بالطريقة التاليـة :

أ ـ يستعيدها على ضوء الوعي الكامل .

ب ـ يستعيدها على ضوء اللا شعور او اللا وعي او العقل الباطن .

جـ ـ ينظر اليها من وجهة نظر التقاليد التي نشأ عليها •

د ـ يفحصها في ضوء المعتقدات الدينية التي كان يؤمن بها وتخلى عنها •

هـ ـ يقارنها بالافكار التي يعتنقها •

و ـ يوائمها مع نوع الحياة التي يحياها والثقافة التي يسلكها •

ز ـ يزنها من ناحية التطلعات التي يسعى الى تحقيقها •

ح ـ يربطها بالنواحي الانسانية التي يتوخاها في سلوكه الخاص• ولذلك فان المرسل اليه يعمد الى مقارنة هذه الفكرة بالافكار التي يعتنقها ، كما يعمد الى المقارنة بين النتائج المترتبة على قبولها بحيث لا تتعارض مع النتائج التي يتطلع اليها •

وهنا يدور صراع عنيف بين كل ما يؤمن به وبين ما تحتويه الفكرة• وسواء رفض الفكرة او قبلها فان هناك عملية أخرى هي عملية الاستجابة للمؤثرات الحسية والعقلية والنفسية ••

والتأثير الاسلامي على الانسان الجاهل تأثير عجيب •• لا مثيل له •• التأثير الذي جعل الولد يقتل والده ، والزوجة تهجر زوجها والأخ يكره أخاه في سبيل كلمةحق فاصلة•• هذا التأثير قادر علىخلق الأمة التي تؤمن بالاسلام نظاماً واسلوب حياة ••

٦ ـ المؤثرات :

وتقسم الى ثلاثة أنواع :

أ ـ المؤثرات الحسية : تستثير الأحاسيس الطبيعية ـ كالحب

والكراهية او الفرح او الحزن او التعاسة او .. الخ . وهي ردود فعل غرائزيـــة .

ب ـ المؤثرات العقلية : تستثير العقـل والتفكير ـ كالتصديـق والتكذيب والتأييد والرفض والاعجاب والاستنكار . وهي ردود فعل عقليـــة ..

جـ ـ المؤثرات النفسية : تخاطب العقل الباطن او اللاشعور والخبرات والتجارب داخل اللاوعي الناتجـة من صراع النفـس وشتى ضروب التعارض او التوافق بين الماضي والحاضر ـ وهي صادرة عن ردود فعل نفسية . وقد استخدمت وسائل الاتصال والاعلام والدعاية كل هـــذه المؤثرات بالقدر الملائم والظروف الملائمة وفي الوقت الملائم بالعلم والخبرة ودراسة الرأي العام وتحليله . ولو أحسن استخدام هذه المؤثرات لنجحت عملية التوصيل وانتجت التأثير المطلوب . كما ان وقوع أي خطأ مباشر او غير مباشر من شأنه ان يؤدي الى فشل عملية التوصيل ، وقد ينتج تأثيرا عكسياً تماماً يتولد داخل الفرد المتعرض لوسائل الاعلام والدعاية والاتصـــال .

وعندما جاء الاسلام .. لم تكن هناك علوم لدراسة علم النفس او دراسة الاعلام او دراسة العلوم العقلية .. لم تكن هذه العلـــوم لتدرس وتطبق .. وجاء الاسلام وهو يحمل بين طياته علوماً في أرقى قمم الفكر .. من هذه العلوم هو علم الاعلام ..

وعندما نستعرض المؤثرات نجد ان الاسلام اول من استخدم هذه المؤثرات بالوجه الصحيح .. انظر الى قوله تعالى في استثـارة حب الله وكيف يثير في الانسان تلك الأحاسيس الطبيعية :

(واذا سالك عبادي عني فاني قريب ، اجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) البقرة : ١٨٦ . **(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم . قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين)** آل عمران : ٣١-٣٢ **(ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به ، اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين)** آل عمران: ٩١ . **(الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ، ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم)** المجادلة : ٧

وانظر الى قول الله تعالى في استثارة العقل في التفكير (فلينظر

(فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . انه على رجعه لقادر . يوم تبلى السرائر . فما له من قوة ولا ناصر) الطارق : ٥ ــ ١٠ .

وانظر الى قول الله سبحانه وتعالى في النوع الثالث من المؤثرات حيث يخاطب العقل الباطني :

(الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار) آل عمران : ١٧

(وقرآنا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا . قل آمنوا به او لا تؤمنوا ، ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا . ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا . ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) الاسراء : ١٠٦ ــ ١٠٩ .

والخشوع لله يجعل الانسان في حالــة نفسية سامية لا يمكن ان توصف بأي تعبير ••

٧ ـ السلوك او رد الفعل :

بعد ان يقتنع المرسل اليه بقبول الفكرة او رفضها تبدأ عمليـــة استرجاع المؤثرات التي ذكرناها مرة اخرى ، ولكـــي يكون السلـــوك مطابقاً للفكرة فان المرسل اليـــه يراجـــع نفسه ليكون سلوكه الشخصي متمشياً مع السلوك الجديد المراد له ، بناء على قبوله للفكرة او رفضـــه لها وهل هذا السلوك الجديد يتوافق مع السلوك الجماعي الجديد المراد ان يسلكه جميع المتعرضين للاستجابة المماثلة أي المقارنة بين مصلحـــة الفرد ومصلحة الجماعة • وعندئذ يدور صراع بين الفرد ونفسه •

لذلك كلما كانت سلسلة الاتصال بالامة مقنعة وواضحة وصريحة بالنسبة لأكبر عدد من الافراد ، استجاب الافراد للفكرة ، فان هذا يؤثر على قرار الفرد المرسل اليه • وهذا يرجع الى وجود صراع عنيف بين ما يريده الانسان بدافع ميوله ورغباته وبين ما تريده وسائل الاتصـــال والاعلام ؛ لذلك يحرص رجل الاتصال او الاعلام في مجالات : (الفكرة، التأثير ، الاستجابة وردود الافعال) على ان تتم كلها على نحو سليم لا يحدث فيه تعارض أو تنافر بين التأثير والاستجابة من ناحية وبين ردود الفعل السلوكية من ناحية أخرى ••

والاعلام الناجح هو الذي ينجح في جعل المبادىء الثلاثة (الفكرة والتأثير والاستجابة) متحركة بدون ضغط او كبت او الزام ، ولذلــك يلجأ الاعلام ووسائل الاتصال الى الطرق التالية لمنع التضارب او الخلل:

١ ـ الالحاح : وهو طرح الفكرة مرات ومرات وفي اشكال جديدة ومناسبات وظروف مختلفة لكي يصل الى الغرض المطلوب •

٢ ــ المتابعة : لتعميق وترسيخ الفكرة في عقول الجمهور وطرح نتائجها مرات ومرات في اشكال ومناسبات مختلفة •

٣ ــ الملاحقة : لتجديد شباب الفكرة واكسابها مزيداً من الحيوية • وعن طريق هذه الوسائل الثلاث يحدث الاغراء فيتحقق التجاوب والتفاعل والالتحام والمشاركة بين الاعلام والجمهور ••

هذه الحلقات السبعة التي ذكرناها تؤلف ما يسمى في قاموس الاعلام بالسلسلة الاعلامية المترابطة ••

عندما اكتسح الغزو الصليبي الوطن الاسلامي سقطت مواقع كثيرة للاسلام تحت ضرباته •• وكان الغزو الصليبي يستخدم كل الوسائل الممكنة في سبيل دحر الاسلام •• وكان لاستخدامه الاسلوب الدعائي والاعلامي الذي يلفه الكثير من الزيف اثراً كبيرا في اضعاف نفوس كثير من ضعاف العقيدة •• وكانت أسس الدعاية الاستعمارية كالآتي :

١ ــ كان هدف دعايتهم الهجومية الاعتدائية هو الاشخاص لا الموضوعات• فحشد كل الجهود الاعلامية ضد الأمة بأفرادها سوف يسهل وييسط من العملية ذلك لأن معالجة الموضوعات مسألة معقدة ولا يمكن ان تعالج بالبساطة او اليسر الذي يجب ان تكون عليه صبغة الدعاية ••

٢ ــ يجب ان تخفى الدعاية وتموه حتى لا تبدو واضحة ظاهرة على انها دعاية والا تعرضت للفشل •

٣ ــ يجب ان تستند الدعاية الى المعلومات ذات القيمة والى المعرفة الدقيقة بمجريات الامور ، ويجب ان تنسق تماماً مع الاتجاهات السياسية والثقافية والعسكرية والاقتصادية والعاطفية للدولة وللسكان الذين توجه اليهم •• وان المعرفة الدقيقة بلغة البلاد التي توجه اليها الدعاية

شرط اول لان المستمعين سرعان ما يعرفون بسرعة المتكلـم الاجنبي ، لاخطائه في استعمال اللغة بالصورة التي يستخدمونها هم .

٤ ـ لا يصح اطلاقاً ان تظهر الدعاية ، وكأنها تخلق موضوعـات جديدة بل يجب ان تعني بدلا من هـذا بالموضوعات القائمة فعـلا وان تعالجها بصورة ما لفائدة الدعاية ، وأقرب معرفـة لهذا الاسلوب مـا تستخدمه الدعاية السوفيتية الشيوعية في اذاعتها فهي تحشد كل جهودها في الموضوعات الحساسة القائمة فعلا في المجتمـع مثل البطالة وعـدم الاستقرار السياسي والتفكك الداخلي ، وتبحث هذه الموضوعاتباساليب فنية ثم تصنع منطقها الجدلي بذات الاسلوب الفني .

٥ ـ يجب الا تكون للدعاية صبغة جامدة تجعلها عاجزه عن ملاحقة التطورات اليومية وان تكون متأهبة دائماً لتحوير تفسيرها للموضوعات بما يتمشى مع التطورات اليومية التي تحدث فيها .

٦ ـ لا يمكن ان تدار الدعاية بسيطرة آلية ، واذا كانت التوجيهات والتعليمات تجيء عادة من سلطة مركزية تتولى الاشراف على الدعاية الا ان الاسلوب والوسيلة يجب ان يتركا لاولئك الذين ينفذون الأمر فعلا .

٧ ـ يجب ان تستخدم الدعاية كل التسهيلات الممكنة المستطاعـة وبخاصة مواطني الدولة التي توجه اليها الدعايـة ، والسعي لاكتسابهم للاشتراك فيها .

وقد كانت حوادث ما بعد الغزو الصليبي تؤكد ما جاء في هـذه النقـاط .

(٣)

ان الاعلام الاسلامي ليس موضوعاً حديثاً بالولادة .. فقد ولد مع ولادة الاسلام .. لأن الدين الاسلامي ليس كباقي الأديان فهو دين دعوة وحياة .. يختلف عن اليهودية في كون الدين اليهودي يقتصر على اليهود لأنهم « شعب الله المختار » في زعمهم .. ويختلف عن المسيحية لكون المسيحية ليست نظام دولة وحياة .. لأن المسيح (ع) لم يبن دولة في الارض حتى يعلمنا كيف تُبنى الدول وترسم السياسات .. وان المسيح (ع) لم يتزوج حتى نتعلم كيف يتم الزواج في المسيحية وكيف يكون الموت وحق الجار وكيف تكون الحروب .. لأن ادارة الخد الايمن بعد ان يلطمنا عدوّنا على خدنا الأيسر لا يمكن ان تكون صائبة في جميع الأحوال ..

فهناك المواقف التي تستدعي ضرورة الاقتناع بالسلام .. وهناك المواقف التي لا ينفع معها الا السيف .. وفي كلتا الحالتين يحدّد الاسلام موقفه منهما بصراحة ووضوح ..

وقد كان للكتابة دور مهم في ايصال الفكر والاعلام الى الناس وكان لها ايضاً دور في ايصال كلمة الحق الى كل مكان ..

« وكان للكتابة أكبر الاثر في حفظ التراث الذي يعدّ جيداً مع ان تدوين الحديث لم يكن شائعاً في فجر الاسلام ، ولم يوضع له نظام خاص لتدوينه كالذي وضع للقرآن .

ونشأ عن هذا انه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله سجل كتاب مدون هو القرآن وأحاديث غير مدونة تروى عن رسول الله ، وكانت تروى في الغالب من الذاكرة لا من صحيفة .

فكان اذا عرض حادث ليس له حكم في القرآن وعرف بعض الصحابة انه حدث نظيره لرسول الله وكان له فيه حكم حدث بذلك الحديث ، وكذلك كانوا يحدثون بما وقع في عهده من غزوات ومن وعد ووعيد ونحو ذلك . وكان بعض الصحابة يكره كثرة الرواية عن رسول الله خشية الكذب عليه وخشية ان يصدهم ذلك عن القرآن .

وتاريخ الحضارة الاسلامية يذكر أيضا قوة الدعوة في خطاب الرسول الى المقوقس عظيم القبط لاعتناق الاسلام ، وفي رسائله الى حكام البلدان المتاخمة للعرب كهرقل ملك الروم وغيره .

وان الآيات القرآنية التي انزلها الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه لتعطي مثالا واضحاً لعناد قوم نوح بعد الحاحه عليهم بقبول دعوته : **« قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا ، واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ، ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا »** نوح : ٥ ـ ٨ .

وان اقرب مثل تاريخي للحرب الباردة او الحرب الكلامية التي تسبق غالبا الحرب الحامية والقتال من هجوم او دفاع يبدو في الحرب التي دارت بين الرسول محمد (ص) وانصاره من جهة وبين منكري دعوته الاسلامية من جهة أخرى ..

فعندما نزل الوحي المبين على النبي الامين بالدعوة الى الدين

الاسلامي اصغى النبي الى هذا الأمر المنزّل عليــه من السماء وبــدأ دعوتــه سراً ٠

كانت هذه الدعوة التوحيدية زلزلة لعقيدة الاوثان الراسخــة في في نفوس الكعرب وكان عليه ان يوضح هذه الدعوة الجديــدة ، وان يدحض في الوقت ذاته مزاعم الوثنية ، وحينما فعل ممتثلا لأمر ربه ومؤمناً برسالته كان هذا بدء الاعلام ، فهو يبين وجهة النظر الاسلامية ويجادل بالحسنى او بالتي هي أحسن ليكسب انصاراً ويفرق الملتفين حول الوثنية:
«ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عــداوة كانه ولي حميــم »
فصلت : ٣٤

وهو حين مضى في رسالته لم يقف خصومه منه موقفاً سلمياً بــل رموه بالشاعرية الكاذبة تارة والجنون تارة أخرى ثم عرضوا عليه عروضا مختلفة ، ومنوه بالمال ولكنه لم يقبل لأن المبادىء لا يساوم عليها ٠

ولما لم يفلحــوا قاوموا انصاره بالاعراض والتعذيب والنفي حتى اضطر الى ان يهاجر اخيرا من مكة الى المدينة التي اتخذها مستقرا لــه ولاتباعه وصحابته ٠ اما هو فقد استعان عليهم بأمرين خطيرين :

اولهما ـ السيطرة الروحية على اتباعه والمؤمنين برسالته، وتوجيههم وجهة الجهاد والصبر والايمان ٠

واما الثاني ـ فهو التهوين من عقيدة الآخرين والسخرية من دينهم ومن آلهتهم المتمثلة في اصنامهم ٠

وقد نجح في الأمرين جميعاً وانتهت خطة الاعــلام بالظفر والنصر ٠

ولقد كان النبي (ص) حين يهاجر الى المدينة ضيقاً آسفاً لمنكــري عقيدته من سكان مكة الذين اكرهوه وأكرهوا اتباعــه على الهجرة ، وكذلك كان انصاره وصحابته الذين تركوا (ملاعب صباهم) ودورهم

وأهليهم فراراً بدينهم وتمكيناً لعقيدتهم . فكانت هذه الروح التي سيطرت على المهاجرين هي التي جعلتهم يظفرون باعدائهم في غزوة « بدر » الكبرى على قلتهم وكثرة عدد الآخرين كما اروي التاريخ الصادق .

كما حدد القرآن رسالة النبي بعبارات دقيقة تبين ان مهمته هي الموعظة والتذكير :

« **فذكر انما انت مذكر ، لست عليهم بمصيطر** » الغاشية : ٢١ .

ويبين ان الدعوة الى القرآن يجب ان تؤدى من ألطف طريق :

« **أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن** » النحل : ١٢٥ .

ومن العوامل التي أدت الى نجاح الدعوة الاسلامية واكتساحها الدعوات الاخرى من الوثنية وغيرها عامل هام ؛ يتمثل في ان هذه الدعوة قريبة من نفوس (العرب) جلية في اذهانهم ، وتتمثل كذلك في بيان الداعية وبلاغته وقوة حجته وسلامة منطقه وتعرفه مشارب الانسان وتفهمه طبيعة الناس ، وهي امور لها خطرها في كل دعوة .. بل هي وسيلة هامة من وسائل الاعلام .

والمعروف مثلا ان موسى عليه السلام لم تكن اداة الكلام لديه مكتملة فالتمس من ربه ان يستعين بأخيه هارون حين قال :

« **واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءاً يصدقني اني اخاف ان يكذبون** » القصص : ٣٤ .

وهذا حق وصدق ، اذ كيف يتم ابلاغ الناس وافهامهم دعوة من الدعوات أو قضية من القضايا او منهجا من المناهج او سببا من اسباب الخصام والعداء .. الا اذا كان المبلّغ بيّن المنطق واضح الحجة سليم البيان ؟

وفي هذا يقول أيضاً :

« قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعــل لي وزيراً من اهلــي هارون اخي اشــدد به ازري »

طــه : ٢٥ ــ ٣١

وقد جاءت في القرآن الكريم آيات عديدة تبين عناد الكافرين مثل قوله سبحانه وتعالى :

« واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ، ولكن لا يشعرون » البقرة : ١١ .

يبين لنــا النص السابق ان الاعــلام الاسلامي ولِــد مع ولادة الاسلام •• ويرينا ان قوة الاعــلام الاسلامي كانت بقــوة الاشخاص الذين يدعون اليه •• وقد تتفق مع هذا النص في نقاط وقد نختلف في نقاط أخرى ••

والحقيقة ان عصر الرسول (ص) كان عصرا نموذجياً للاسلام ،ففيه توفر كل شيء من العقيدة الصلبة الى الروحية الشفافة الى الاعــــلام الجيد الى الدعوة لله الى الاسوة الحسنة الى الايمان العميق •• الخ • وفي هذا العصر بدأ الناس يشعرون بلهيب العقيدة وهو يسري في عروقهم واجسادهم ، وفي هذا العصر بدأ الناس يتذوقون طعم الايمان لأول مرة•

وبعد وفاة رسول الله (ص) ابتدأت حروب التحرير الاسلامية حيث كان على الدعوة ان تجوب اقطار الارض داعية الى الله الواحد القهــار اما بالكلمة ، واما بالسيف حيث لا تنفع الكلمة ولا تجدي •• وانتهت تلك الحقبة الزمنية حيث كان الاعلام الا سلامي فيها في أوجّ نشاطــه

وانتهت بتحرير أكثر من ثلث العالم حالياً (أكثر من نصف العالم في ذلك الوقت اذا استثنينا وجود القارة الامريكية) .

وقد كان اخلاص الدعاة وتفانيهم في سبيل الله وصدق نياتهم وحسن تصرفهم أكبر الاثر في دخول اعداد كبيرة من الناس في الاسلام .. لأن الكلمة لا بد ان تترجم الى عمل حتى تتمكن من الحكم على الكلمة .. أهي صائبة ام خاطئة ؟.. والاسلام هو الكلمة .. فلا بد من ترجمتها الى واقع .. ولا يترجم الاسلام الى واقع الا المسلمون الصادقون ... الذين اغرقوا سفنهم حتى لا تغريهم الحياة بالعودة الى الشاطيء مرة أخرى ..

ثم جاءت الدولة الفاطمية واهتمت بالدعوة اهتماما بالغا فعينت داعي الدعاة أي وزير الاعلام .. يقول المقريزي « ... ووظيفة داعي الدعاة كانت بمثابة وزير الاعلام الآن ..
الدعاة كانت بمثابة وزير الاعلام الآن ..

ثم جاءت الحروب الصليبية فاشتبك الطرفان بالحروب الاعلامية قبل الحروب التقليدية .. فصلاة القداس التي دعا اليها البابا أوربان الثاني في كليمونت من اعمال فرنسا سنة ١٠٩٥ لنصرة اول حملة صليبية كانت عملا بارزا من أعمال الدعاة الصليبية ..

وفي سنة ١٦٢٢ انشأ البابا جريجوري الخامس عشر ما يمكن ان يعد اول هيئة للدعاية بقصد نشر الكثلكة (المعتقد الكاثوليكي) وذلك عندما أسس « جمعية الدعاية المقدسة » للقيام بالتبشير فيما وراء البحار .

وتوالت بعد ذلك الحروب الصليبية .. القتالية منها والفكرية انتصر الاسلام فيها واذاقهم طعم الهزيمة وخرج « رتشارد قلب الاسد » جريحاً

فما كان من طبيب صلاح الدين الايوبي الخاص الا ان عالجه لأسباب انسانية بدل ان يقتله .

ولكي نرسم صورة واضحة عن الاعلام الصليبي الحاقد نقرأ معاً نص محاضرة الكاتب الانجليزي « ارسكن تشيلدرز » الموسومة « صورة العرب في الغرب » ويقصد بالعرب هنا المسلمين .. لأن الصليبيين يحاولون ربط القومية بالدين .. والترويج للقومية كما سبق وان قلنا هو مفهوم صليبي .. وكل كلمة عربي في المحاضرة تعني مسلم لأن الاسلام لا يعترف بالقومية ولا يقيم لها أي اعتبار .. وقد القيت هذه المحاضرة في هولندا بدعوة من جمعية الصداقة الهولندية العربية .. وننقل هنا ما يتوافق مع موضوعنا الذي نحن بصدده .. يقول تشيلدرز :

« اذا حاولنا القاء نظرة على علاقات الغرب بثقافات واقطار أخرى خارج نطاق ما يعرف بالمدينة الغربية ، نستطيع على ما اعتقد ان نكتشف صورة معينة محددة المعالم . عموما ، اننا في الغرب لم نتصل بتلك الثقافات والأقطار الا مؤخراً ، أي منذ عهد الاستعمار ، ونتيجة لذلك فقد جمعنا معلوماتنا عن تلك الشعوب من خلال حكمنا واستغلالنا لها . وفي حالات كثيرة كنا نقنع انفسنا بأن مفكرينا واساتذتنا أفلحوا في اعطاء تلك الشعوب صورة اضبط وأدق عن انفسهم وعن ماضيهم . وكنا نمزج تفسيراتنا لثقافاتهم باحاج غريبة معدة سلفا . مثلا : لقد انتظرنا حتى الثلاثينات من هذا القرن ، أي مدى ثلاثمائة سنة ، ليطلعنا الاساتذة الهولنديون المعاصرون مثل بوش وراسرز وفان لور وغيرهم على معطيات الثقافة الاندونيسية القديمة التي سبقت في عظمتها حتى ثقافات الهندوس والمسلمين ، لأن الاساتذة والعلماء الاستعماريين شاءوا ان يطمسوا ذلك مدة ثلاثمائة سنة . وفي نطاق النظرة الجديدة في الغرب للثقافات الاخرى

والمتأثرة لحد ما بالمفاهيم الاستعمارية القديمة علينا ان نحاول الا ننسى حقيقة واحدة مهمة جدا ، وهي ان اطول واعمق اتصال غربي بالثقافات والمجتمعات الاخرى ، كان الاتصال بالثقافة العربية والعالم العربي . واكثر من ذلك نستطيع ان نقول بكل ثقة ان جميع مساعي العالم الغربي الاستعماري للاتصال بالثقافات الاخرى ، جاءت بعد كل ما حققه الغرب من اتصال طويل ومثمر بالعالم العربي والاسلامي . ان خطاب القائد الاسباني البوقريق قبل الهجوم على ملقا توضح هذه الصورة احسن توضيح ، قال لرجاله : « ان ما يدعونا الله اليه الآن هو اطفاء جذوة الاسلام بحيث لا تشتعل مرة اخرى ابدا » .

لقد كانت صورة العرب والمغاربة والمسلمين في الغرب تتسم بالقوة والحق في وقت سبق كثيرا الامبراطوريات الغربية التي نشأت بعد ذلك في الهند والصين والهند الصينية واندونيسيا وافريقيا والصين واليابان .

وما أكثر وأروع ما نتج عن علاقة الغرب بالعرب والاسلام . ولنضع الآن سؤالا بسيطا . ماذا تعني كلمة عربي ؟ والجواب البسيط الذي يسارع الى اذهان الكثيرين منا ، هو العباءة البدوية والخنجر الحاد والجمال والحجاب فوق عيون الفتيات وصفات جميلة الوقع على الاذن مثل دهاء وخبث وفساد وحب للقتال . ولكن ما نفعله دائما ونحن نجود على العرب بهذه الاوصاف ، هو ان الثقافة والمدنية العربية كانت أهم وابرز ثقافة شيدت فوقها ثقافة الغرب .

كثيرا ما راودتني فكرة وضع فلم عن العرب ، وانا واقف في ميدان ترافلغر في لندن . لو قدر لي هذا ، فانني سأهز اوصال كل المتفرجين ، بريطانيين وغربيين على السواء . سأخبر الحاضرين بأن ميدان ترفلغر عربي الاصل (الطرف الاغر) ، وان الشيكات التي تتعامل بها البنوك

الكبيرة الموجودة في ذلك الميدان استمدت تسميتها من كلمة عربية ، وان الأرقام التي تحملها من اكتشافات العرب ، وان المجاري تحت ذلك الميدان اقتبست من مجاري بغداد وقرطبة عندما كانت لندن وأية مدينة غربية أخرى مجرد اكداس من الطين والاوساخ ، وان النجوم التي تحلق في سماء صافية فوق ميدان ترفلغر عربية الاسماء اكتشفها علماء فلك عرب ، وان تكنيك الملاحة الذي استعمله القائد البحري نلسون اكتشف وطور على يد ملاحين عرب ، وان لقب ادميرال الذي عرف به نلسون كلمة عربية الاصل . وسأدهش الحاضرين اكثر عندما ابلغهم ان الماء الصاعد من نوافير الميدان ماء صاف بفعل انتصارات العلماء العرب القدامى في علم الكيمياء ، وان أي عالم غربي يحاضر الآن في متحف مجاور او معهد علمي مجاور ويشير الى ثقافتنا « الاغريقية العظيمة » انما يعني ثقافتنا الاغريقية التي حافظ عليها وترجمها وصقلها واهدانا اياها العرب ، وان علوم الجبر والهندسة التي ساعدتنا على بناء الميادين الكبيرة الشبيهة بهذا الميدان انما ورثناها عن العرب ، وان صحة عابري هذا الميدان اليوم انما أمكن المحافظة عليها بهذا المستوى الجيد بفضل ما خلفه لنا الاطباء العرب القدامى من دراسات وتحقيقات طبية كالرازي وابن سينا .

هذه قصة تبدو خيالية . الا ان ما يبعث على الدهشة حقا هو ان معظم الغربيين اليوم يجهلون تمامادور العرب في خلق اول بذار مدينتنا ـ اننا نعهد للاغريقيين دور وضع الاسس لثقافتنا الحاضرة ، ونعترف للصينيين بانهم اورثونا مسحوق البارود وأشياء قليلة أخرى ، ونعترف بأننا بدأنا في وادي النيل ومنبسطات العراق وضفاف نهر الاندوس . ولكننا ننسى او نتناسى ما ورثناه عن العرب الذين جاءوا بعد هؤلاء .

وكثيرا ما نردد بفخر عبارة « المكتبة الاغريقية العظيمة » في

الاسكندرية وكثيرا ما نحاول اقناع أنفسنا بان هذا الكنز الغربي العظيم دمره العرب عندما اجتاحوا مصر لأول مرة . فهل هذه هي الحقيقة ؟ الحقيقة هي ان نصف المكتبة دمره اسلافنا الرومان وان النصف الثاني حافظ عليه العرب بقلوبهم ودمر مع مدينة الاسكندرية على يد الصليبيين الاوروبيين .

المؤسف ان صورة العرب الحالية في اذهاننا سلبية وغبية . فنحن لم نصل الى ما وصلنا اليه الا بفضل العرب ولأن اتصالنا بهم كان اطول واوثق من اتصالنا بالشعوب الاخرى .

الجواب على كل هذا يتوضح عندما نستعيد اول خبراتنا مع العرب. كان ذلك بعد خروج العرب من الجزيرة العربية منطلقين شرقا وغربا حتى وصلوا اواسط فرنسا . ولم تكن انطلاقتهم حملة حربية صرفة . فالعرب الوافدون لم يكونوا مجرد جنود . كانوا دينا جديدا منظما ، دينا يعلن انه يشارك المسيحية تعاليمها ورجالها . ولذلك لم يسبق للغرب ان واجه ثقافة كهذه واختبارا من هذا النوع . بل لقد جاءت هذه الانطلاقة حينما كانت اوربا والمسيحية تجاهدان للافلات من عصور الظلام المخيمة على القارة الاوربية . ولا شك ان اجدادنا نظروا الى كل هذا بدهشة وحيرة وألم أيضا . اذ رأوا العرب من حولهم يقدمون لهم عصارات ما اكتشفوه وحققوه منذ ثلاثة قرون في مدن مدهشة كبغداد وقرطبة في مختلف مجالات المراصد والمستشفيات والتخطيط الهندسي والعلم والفلسفة والملاحة والتجارة والعلوم السياسية والادارة ، ويقدمون لابنائهم الثقافة والمعرفة على نحو لم يعهدوه ، ويحملون لهم دينا جديدا ونظاما سياسيا جديدا يتخطى القدس وفلسطين مصدري الالهام المسيحي في القرون الوسطى .

وكل ما عقب ذلك كان سلبيا من جانب المسيحية . فالصليبيون الذين كانوا أول من أمدنا جميعا بالشجاعة وقيم الشهامة ، نظروا الى العرب كاعداء . واذكر ما كتبه المؤرخ البريطاني غيبون ، اذ قال : « لو لم نقهر العرب (المسلمين) في معركة تولوز لكان القرآن اليوم يدرس في اكسفورد » .

والحقيقة اننا اذ لم نستطع اخضاع الدين الاسلامي لديننا اخذنا نشوه سمعته ونعبىء ثقافتنا اللاواعية بالحقد عليه . قلنا ان المسلم يلجأ بسرعة الى سيفه ليجز به رأس المسيحي في اول مناسبة ، بينما ننسى ان الديانتين الآخريين لم تلقيا المعاملة الحسنة الا في رعاية الاسلام . كذلك ننسى ما فعله الصليبيون ، لا المسلمون ، في مجالات الوحشية واراقة الدماء وقطع الرؤوس . وفقط الآن في القرن العشرين اخذ بعض علمائنا يسردون الحقيقة عن الصليبيين .

ثم .. وهذه ناحية أخرى لها علاقة بالصورة التي كوناها عن العرب هي معاملة اليهود .

التناقضات هنا لا يمكن ان يتصورها عقل . من نادى العرب للدخول الى اسبانيا عن طريق جبل طارق ؟ اليهود المضطهدون في اسبانيا . وقبل ذلك بقرون عندما وصل العرب الى أبواب القدس ، وقعوا مع سكان المدينة اليهود والمسيحيين معاهدة ضمنت لهم ممارسة اديانهم بحرية تامة .

وعندما وصل اجدادنا الصليبيون الى أبواب القدس بعد ذلك بقرون ، دخلوا المدينة بحيلة ولطخوا شوارعها بلون الدم الاحمر وجمعوا اليهود في دور عبادتهم واحرقوهم احياء . هذا ما سجله للتاريخ شاهد عيان . واول موجة لا سامية اجتاحت اوروبا ظهرت بعد الصليبيين . وبعد

ذلك بالف سنة تقريبا ، يقرر خلفاء الصليبيين طرد العرب من ارضهم فلسطين ليسلموها لليهود وليسددوا حساب الحرب العالمية الأخيرة .

لقد رفضنا ان نفسر عدم تهاوي الدين الاسلامي ، التفسير الصحيح، أي ما يختزنه هذا الدين من ميزات ذاتية . وقد عرف عن مارتن لوثر انه وصف القرآن بالخداع والدجل رافضا حتى مجرد قراءته . واول ترجمة انجليزية للقرآن في العام ١٦٤٩ صدرت بهذه العبارة « من اجل الرغبة في التمعن بالغرور العثماني » . واول ترجمة انجليزية كاملة لحياة محمد في سنة ١٦٩٧ صدرت بعبارة « الطبعة الاصيلة لمحتال تجدها في سيرة محمد » .

ومن الجدير بالذكر ان اول استاذ غربي حاول تنقية ثقافتنا من هذا السخف ، كان المستشرق الهولندي ادريان ويلاند احد اساتذة جامعة اترخت . ففي كتاب له صدر في العام ١٧١٢ يتضمن بعض رسائله اشار الى النصيحة التي كانت توجه الطلاب بعدم دراسة العربية ووجه الكلام لطلابه قائلا : « المسلمون حقا ليسوا كما صوروا لكم » .

وعندي تفسير خاص ، احب ان اورده في هذا المجال . لقد اتضح لي ان بعض علمائنا واساتذتنا القدامى القوا تبعة ظهور اول حركة مثالية وعاطفية وحدت العرب ، على ظهر رجل واحد . ولذلك ، وعلى ضوء هذا التفسير ، حاولوا ان يثبتوا ان الحركة مفتعلة لأنها من صنع رجل واحد أراد ان يخدع شعبه في سبيل اطماع شخصية . ولذلك اطلقوا على محمد صفة المحتال واطلقوا على الدين الذي جاء به اسم « المحمدية» لاقناع المسيحيين بان هذا الدين فرض على المسلمين فرضا ولم يعتنقوه بمحض ارادتهم . كل هذا لأن هذا الدين الاسلامي وقف في ذلك الوقت حجر عثرة في طريق التوسع الغربي. وما زلنا حتى اليوم وخاصة سياسيينا

وصحفيينا لخط من شأن أية مساع للوحدة العربية على اعتبار انها تهديد للنفوذ الغربي متجاهلين عن عمد كون الدين واللغة والثقافة ، ما لا يملكه أي شعب آخر توحد قبله ، ولكم نتجاهل اننا نحن الغربيين وليس الاتراك هم الذين مزقوا العرب في عدة اقطار لاضعاف شوكتهم .

تفسير آخر نتسلح به لرفض هذه الوحدة هو اننا تعودنا على ربط أية وحدة بالقومية . لقد تذرعنا دائما بحجة عدم امكان توحيد قوميتين مختلفتين فكيف يمكن للعرب ان يتوحدوا وهم عبارة عن قوميات كثيرة ؟ وما زلنا نصر على ان المصريين لا ينتمون للقومية العربية ولذلك نحاول دائماً التقليل من صدق رغبتهم في تحقيق الوحدة العربيـــة ونستطرد في تفسيراتنا ونقول ان قيادة مصر على هذا الأساس غير مخلصة ، خادعة ، تريد السيطرة .

في هذه الظاهرة وغيرها نجد عادة غريبة مميزة اخرى بالنسبـــة لعلاقاتنا مع العرب ومفاهيمنا عنهم ، هي ايماننا بأن سلامتنا موجودة في ابقـــاء القديم على حاله . وانا على يقين من ان كثيرين من سياسيينـــا وكتابنا يحبون لو توقفت الساعة عن السير في الشرق الاوسط . ومن هذا المفهوم يعتقد هؤلاء انه طالما كان هناك عداء ومنافسة بين بغداد والقاهرة في الزمن القديم فلا بد ان يكون هذا العداء والتنافس قائمـــا في القرن العشرين أيضا . واذا ما سارت المدينتان في اتجاه الوحدة فلحين ، كمـــا حدث قبل الف سنة .

ولكن الحكم على التاريخ العربي المعاصر بهذا المنطق أمر لا يقبله العقل . ان هذا المنطق خير دليل على الجمود الغربي في التجاوب مـــع العرب ، وهو جمود لم نقبله لأنفسنا في التعامل مع أي شعب آخر أو أي منطقة أخرى في العالم .

وكثيرا ما يقال في الغرب انه طالما فشلت الامبراطورية العربية الاولى في توحيد العرب لمدة طويلة ، فان كل محاولات الوحدة المعاصرة لا بد ن تفشل ايضا .

في هذه الأقوال تتضح هواجس الغرب وتنكشف ازدواجيتها . فهي تعبر عن تمسك الغرب بلغة التعلق بالآمال أولا ، ورغبته في بقاء القديم على حاله ثانياً .

هذا الالحاح على ابقاء القديم على حاله في الشرق الاوسط له علاقة بماضينا الديني ودوافعنا الموروثة . ان سلامة عقائدنا الدينية التي حافظنا عليها منذ الماضي البعيد تتحقق كما نعتقد ، بابقاء الشرق الاوسط على حاله القديم . وكلما ادعينا اننا نرى نوعا من تحقيق وعــود التوراة في ارض مولد المسيح كلما احسسنا بالاطمئنان في ظل عقائدنا الدينية » [١].

نستطيع الآن تثبيت بعض النقاط من خــلال استقــراء المحاضرة السابقــة :

١ ــ ان المحاضر ركز على موضوع العرب والوحدة العربية في حين ان الموضوع يتعلق بالمسلمين قبل ان يتعلق بالعرب ، وان الرازي وابن سينا لم يكونوا عرباً بل كانوا مسلمين .. واثارة هذه النعرة القومية لها دوافع تبشيرية واضحة لا تخفى على المسلم الواعي .

٢ ــ ان دفاعه عن الرسول الكريم (ص) بقوله : « ان بعض علمائنا واساتذتنا القدامى القوا تبعة ظهور اول حركة مثالية وعاطفية وحدت العرب ، على ظهر رجل واحد . ولذلك ، وعلى ضوء هذا التفسير ، حاولوا ان يثبتوا ان الحركة مفتعلة لأنها من صنع رجل واحد اراد ان يخــدع

(١) تخطيط الاعلام العربي ــ عقيل هاشم ١٩٦٨ .

شعبه في سبيل اطماع شخصية •• » ليس دفاعا مخلصا يرد الشبـه عـن ذلك الشخص الكريم •• فقوله ان الاسلام والحركة الاسلامية حركـة مثالية وعاطفية قول خاطىء تنقصه الحقيقة العلمية •• فالاسلام حركـة واقعية ترفض المثاليات وترفض حياة التكهن والعزلـة والعيش في بحـر الاحلام ••

والمسلمون واقعيون لأنهم كانوا في عصر الرسول (ص) لا يزيدون في حفظ عشرة آيات من القرآن الكريم في اليوم الواحد •• لماذا ؟ لأنهم أرادوا ان يترجموا هذه الآيات العشرة الى واقع •• الى عمل •• الى تنظيم •• فلو كان الاسلام مثاليا لما حدث شيء من هذا القبيل ••

والحركة الاسلامية ليست حركة عاطفية لأنها لا تؤمن بالعاطفـة وحدها •• بل انها تؤمن بالعقل والعاطفة •• جزء يكمّل الآخر •• هنا كل شيء بمقدار •• لا قلق ولا اضطراب ولا تذبذب •• كـل شيء في اتزان وموضوعية ونظام ••

ثم ان الرسول اذا أتى على امة فهو رسول واحد •• فلم نسمع ان الله سبحانه وتعالى أرسل عشرين رسولا على امـة واحـدة وفي نفس الوقت •• فهو رسول واحد وهو رجل واحد جاء ليبلّغ رسالة ربه الى البشرية جمعاء •• فالحركة هي حركة رسالية يتزعمها رسول مرسل من الذي خلق السموات والأرض في ستة ايام •• وليست له أية اطمـاع شخصية •• فلو أراد ان يكون ملكاً في الأرض او جباراً لكان له ذلـك قبل ان يتلقى ما تلقى من قريش وتعنتها ، ومن طغيان الاعراب وغلظتهم لكنه كان أغنى من ذلك بكثير فقد اعطاه الله ما لم يعطه لبشر من قبـل

(ولسوف يعطيك ربك فترضى) ••

٣ ـ يلمّح المحاضر بأن الصليبية سائرة في ضرب الاسلام مهمـا

كان الثمن فيقول لمزا : « هذا الالحاح على ابقاء القديم في الشرق الاوسط له علاقة بماضينا الديني ودوافعنا الموروثة . ان سلامة عقائدنا الدينية التي حافظنا عليها منذ الماضي البعيد تتحقق كما نعتقد ، بابقاء الشرق الأوسط على حاله القديم » .

ان التلميح بأن حالة التخلف الحضاري التي يعيشها العالم الذي يؤمن بالاسلام ، يجب ان تبقى لضمان الصليبية ومن يجرّون اذيالها تلميح على قدر كبير من الأهمية في دراسة النظرة الصليبية للشرق لاسلامي ..

٤ ـ لا شك ان المحاضر قد عرض جوانباً من الشعور الصليبي تجاه الاسلام .. وهذه الجوانب مبتورة لظروف سياسية واجتماعية .. وقد حاول ان يكون موضوعيا فلم ينجح الى حد ما .

٥ ـ يذكر المحاضر اصطلاح « الامبراطورية العربية الاولى » وهذا الاصطلاح خاطيء ومشوه .. فالاسلام لا يؤمن بالامبرطوريات .. بل يؤمن بقيام الدولة الاسلامية .. وموضوع الدولة الاسلامية مدروس باسهاب من الناحية الفكرية والعقائدية والتشريعية من قبل المفكرين المسلمين بعد استقراء القرآن الكريم وأحاديث الرسول وأحاديث الأئمة والصحابة .. والتأسي بالرسول (ص) والأئمة (ع) والصحابة .

نستنتج من الآراء التي طرحت سابقاً بعض النقاط التالية :

أ ـ ان المعركة بين الاسلام والآراء والافكار المناوئة له شرسة وفاصلة . وهي لم تنزل الى ساحة المواجهة السافرة بعد .. فالحرب ضد الاسلام دائما مبطنة بمختلف الأكاذيب والاشاعات والتضليل .

ب ـ مقاومة هذه القوى المناوئة تتطلب بالاضافة الى النوايا الطيبة

أبداعا في العمل والتنظيم •• والمفروض دراسـة العقبات التي تعترض المسيرة ووضع المقاييس الصحيحة لها ••

جـ ــ الاعلام الاسلامي في العالم الخارجي سلاح مهم من اسلحـة الدفاع عن الاسلام ••

★ ★ ★

(٤)

يحدّد لنا رسول الله (ص) أسس الاعلام الاسلامي الصادق حيث يقول (ص) :

« لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب ، وان ابعد الناس من الله القلب القاسي » . فالاعلام المرهف الذي يستند على ذكر الله اعلام لا يبور .. والدعوة الى الله دعوة حق .. ويحدد لنا الرسول (ص) طريق العمل ، فمن التاريخ الصادق .. « عن ابي ذر قلت يا رسول الله اوصني ، قال : عليك بتقوى الله، فانه رأس الامر كله ، قلت يا رسول الله زدني ، قال : عليك بتلاوة القرآن ، فانه نور لك في الارض وذخر لك في السماء » ..

ويقول رسول الله (ص) أيضاً : « ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في النفس وصدقه العمل ، وان قوما قد الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحن نحسن الظن بالله تعالى ، وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل» .

أعلام لا يفتأ عن ذكر الله ورجال تقاة يتلون القرآن وعمل يترجم الايمان الى واقع •• هذا هو الاسلام وهذا هو اعلامه •• اعلام صادق•• اعلام موضوعي •• لا دخل للزيف والكذب والفوضوية فيه ••

ويندد الاسلام بالاعلام المزيف الكاذب •• يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

« ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين » لقمان : ٦ .

وقد اجمع المفسرون على انها نزلت في رجل كان يجلب الجواري لتغني للمسلمين حتى تستهويهم وتفتنهم وتحولهم من الاسلام الى الكفر••

ويحدد الاسلام الاعلام المزيف بمصطلح الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم •• وهذا يدل على ان الاسلام دين لا يرتضي التهريج ولا يرتضي ان يكون الداعية داعيا بين الناس فحسب ، فالاولى ان يدعو نفسه فتستجيب له ثم يدعو الناس •• يقول الله تعالى :

(اتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون) البقرة : ٤٥ . . ويقول رسول الله (ص) : **« ان الذين يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم يجرون قصبهم** (اي امعاءهم) **في نار جهنم فيقال لهم : من انتم ؟ فيقولون : نحن كنا نامر الناس بالخير وننسى انفسنا »** .

ويزيد القرآن الكريم في تحديد ملامح الاعلام الاسلامي فيقول الله سبحانه وتعالى مخاطبا المؤمنين الدعاة :

(يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) .
الاحزاب : ٧١

ان تجارب الاعلام الاسلامي والدعوة الى الله في العالم عديدة وقد قامت في العصر الحديث محاولات ضمن نطاق العمل والدعوة للاسلام ••

وهذه المحاولات اتسمت بطابع الثورة اساسا لمواجهة التحديات واستئناف الحياة الاسلامية .. ومن هذه التجارب تجربة (الشهيد احمد بن عرفان) في الهند الذي استجاب له عدد كبير من الناس فجندهم وحمل امامهم راية الجهاد واستطاعوا ان يؤسسوا دولة اسلامية في مدينة (بشاور) شمالي الهند . غير ان الانجليز تآمروا عليها بدهاء ، وألبوا المسلمين من رجال القبائل ضدها ، مما أدى الى قيام معركة عنيفة بين الطرفين قتل فيها الامام وكبار اصحابه وذلك عام ١٢٤٦ هـ . ومنها تجربة الشهيد (الشيخ عز الدين القسام) الذي استحيا من الله ان يقرىء تلاميذه احكام الجهاد ثم هو لا ينفر معهم الى الانجليز الذين كانوا يحتلون فلسطين في ذلك الحين . فما كان منه الا ان استنفر تلاميذه واتباعه وتدرب على القتال ودربهم عليه واعلن الجهاد على اعداء الله حتى سقط شهيدا عام ١٩٣٦ م .

ومنها تجربة الشهيد (نواب صفوي) زعيم حركة الفدائيين المسلمين في ايران التي تؤمن بان القوة والاعداد هي السبيل الوحيد لتطهير ارض الاسلام من الصهيونية والمستعمرين واقامة حكم الاسلام .. ولقد قاومت الحركة اعداء الاسلام في ايران مقاومة الابطال الى ان سقط نواب صفوي وعصبة من اخوانه بالرصاص قتيلا في سبيل الله عام ١٩٥٦ م .

ومنها تجربة الشهيد (حسن البنا) في مصر حيث استشهد عام ١٩٤٨ برصاص الانجليز .

ومن تجارب العمل الاسلامي في الاعلام تجربة الوعظ والارشاد (تجربة جماعة التبليغ) وهو اسلوب يمارسه الوعاظ والمرشدون بشكل افرادي في غالب الاحيان وتمارسه جماعة التبليغ بشكل جماعي . وجماعة التبليغ تلزم اتباعها ببذل اوقات معينة للقيام بهذا الواجب ساعة في الاسبوع او يوما في الشهر او شهرا في السنة ، يقومون فيها بالدعوة الى

الاسلام في سائر انحاء الوطن الاسلامي .. وجماعة التبليغ مع حرارة دعاتها في الدعوة الى الله وحماسهم وصدقهم واخلاصهم وصفائهم ، الا انه لا يقدر لها ان تكسب الجولة مع الجاهلية العاتية ان بقي اسلوبها الحالي نفس الاسلوب في المستقبل او اصبح سياسة مضطردة في سائر مراحل العمل وفي مختلف الظروف .. ويعزي فتحي يكن في كتابه (مشكلات الدعوة والداعية) اخفاق هذه الجماعة بما يلي :

أ ـ ان هذا الأسلوب لا يفضي بنتيجته الى اقامة جماعة مؤمنة قادرة على مواجهة الجاهلية وتحدياتها المتزايدة ، وبالتالي الى ايجاد المجتمع الاسلامي واقامة الدولة الاسلامية واستئناف الحياة الاسلامية .

ب ـ ثم ان مثل هذا الاسلوب سيبقى نطاق عمله محصورا في المساجد وروادها بمعنى ان اثره لن يمتد الى الآخرين الذين يمثلون اليوم السواد الاعظم من الناس والى قطاعاتهم المختلفة ..

جـ ـ كما ان هذا الاسلوب لن يتمكن من مواجهة تحديات الأفكار والفلسفات المادية يرد عليها ، لأنه ينتهج في غالب الاحيان اسلوب الموعظة العاطفية المؤثرة واسلوب الترغيب والترهيب ، وهذا لا يمكن ان يؤثر في غير المتدنيين اصلا ..

د ـ ومن ظاهر هذا الاسلوب انه ليس في تخطيطه ـ والله اعلم ـ ان يتابع البذور حتى تنمو وتصبح غرسا ليجنيها بعد ذلك ثمراً . وقد يكون مماثلا للاسلوب الذي انتهجه (طاهر الجزائري) و (جمال الدين الافغاني) والذي عبر عنه بقوله : « قل كلمتك وامش » وهذه الطريقة غير مضمونة النتيجة فضلا عن كونها بطيئة الاثر قليلة الثمر .. يقول الاستاذ ابو الاعلى المودودي (امير الجماعة الاسلامية بباكستان) مشيرا الى عقم اسلوب الوعظ والارشاد :

« يصبح ، من العبث الدعوة الى الاســلام على طريقــة التبشير المسيحي . ولو طبعت ملايين النشرات تدعو الى التمسك بالاسلام وتصيح بالناس ان (اتقوا الله) صباح مساء . لما كانت ذا فائدة تذكر . اذ ما هي الفائدة العملية التي ستنجم عن تأكيد ان الاسلام صالح لكل زمان ومكان وان فوائده ومزاياه ليس لها مثيل عن طريق القلم والكتابة؟ ان حاجــة العصر تتطلب ابراز هذه المزايا بصورة عملية في عالم الواقع .. ان مشاكل العالم المادية لن تحل لمجرد القول بأن الاسلام يملك حلها .. ان قيمــة الاسلام الذاتية لا بد وان تبرز الى الوجود في هيئة نظام عملي مهيمن يلمس الناس آثاره ويجنون ثماره .. اننا نعيش في عالم يقوم على اساس الصراع والكفاح ، والخطابة والوعظ لن تفلح في تغيير مجراه . ولكــن الكفاح الثائر وحده هو الذي يستطيع ذلك » .. (رسالة داء المسلمين ودواءهم ص ١٥) [١] .

وتتوالى التجارب الاسلامية في كل موقــع من مواقع الاسلام في العالم .. وفي الوقت الذي تسعى فيه الأجهزة الاعلامية المعادية للاسلام (الاجهزة الصليبية والصهيونية والماركسية والرأسمالية وغيرها) الــى طمس حقيقة الصراع الدائر بين الاسلام وتلك الفئات المناوئة نجد ان الاسلام يبقى شامخا كالطود يراه الداني والقاصي .. البعيد والقريب .. فقوة الاسلام قوة ذاتية .. تجعله شامخ في كل شيء .. في الشخصيات.. في الاعــلام .. في السياسة .. في الاجتماعيات .. في كــل شيء . فعندما يذبح الاسلام في جنوب شرقي آسيا نراه يولد من جديــد في انكلترا .. وعندما يذبح في انكلترا يولد مرة أخرى في جنوب شرقي آسيا .. فهو دائما متجدد .. يولد دائما ولا يشيخ .. وهذا ليس سرا

---

(١) للتوســع راجع كتاب (مشكلات الدعوة والداعية) فتحي يكن — (موضوع تجارب الدعوة الاسلامية) الطبعة الثالثة ١٩٧٤ .

لأنه نظام ليس من انتاج البشر •• انه نظام آلهي لم تستطع اصابع البشر العبث به ••

ان الذي يركز عليه الاسلام هو بناء الانسان بناء المسؤولية والوعي الوجداني والعقلي •• وبناء الثقافة والوعي السياسي الذي يخدم الانسان، بحيث يكون الانسان المسلم في جو من القراءة والتوعية والاهتمام بمشاكل العالم حتى اثناء وجوده في مكتبه او مصنعه او مدرسته او حقله، وفي هذا الوقت اصبح محتما علينا صنع هذا النوع من الانسان •• ان الانسان الواعي يعرف كيف يدافع عن وطنه الجريح في ساعات الخطر•• انه يعرف أي دور هو دوره وكيف يتحول الي جندي يحارب في الصفوف القتالية الاولى •• في الخنادق العقائدية •• فالانسان النافع هو القوي بعقله وليس بعاطفته او بجسمه • والى ان ندرك هذا سيظل الاستعمار العالمي قادرا على التلاعب والتحكم بمقدراتنا .••

والاستعمار عندما يحارب الاسلام فانه يحاربه بصورة غير شريفة • لنقرأ معاً هذه القصة الاعلامية التي حاكتها الأيادي الصهيونية التي تعمل في الظلام لدحر الاسلام وسوف نرى مدى تفاهتها وانحطاط مستواها الفكري والخلقي :

« من جملة المسلسلات التي عرضها التلفزيون الالماني الغربي (ن•د•ر•) مسلسلا تلفزيونيا بعنوان (شالوم مصطفى) تم انتاجه في اسرائيل •• وملخص الحلقة هي ان عائلة يعرفها الطفل مصطفى (وهو عربي) ارادت الذهاب الى زيارة كيبوتس ، وفي طريقهم رأوا بحيرة طبريا، فأخذت المرأة تحكي كيف ان سليمان قد أمر باحضار الماء الساخن الى البحيرة فسألها مصطفى : هل كان النبي محمد هنا ؟ فأجابته الأم بأنه لم يكن هنا مطلقاً في يوم من الأيام وانما كان في الصحراء العربية • وحينما

وصلوا الى الكيبوتس ... ذهبوا للنوم في غرف مريحة ، ولكن مصطفى رفض ان ينام مثلهم في غرفة ، وطلب ان ينام في حظيرة الماشية وأصرّ على ذلك فتركوه يذهب ولكنهم أرادوا ان يعرفوا لماذا يريد مصطفى ان ينام في الاصطبل ؟ فراقبوه واذا به يتناول سجادة للصلاة ، ويبدأ بالصلاة داخل الاصطبل . واخيرا هرب مصطفى واخذ يسير كالرعاة الى ان وجد جماعة من البدو فسلم عليهم وجلس بينهم وانسجم معهم ، وراحت العائلة الاسرائيلية تفتش عنه الى ان وجدته وطلبت منه ان يعود معهم ..» [1] .

ان مؤلف القصة اراد ان يقول بان المسلمين أناس جهلة يفضلون العيش في الاصطبلات .. حيث الاقذار والروائح المنتنه .. ولا يقتصر الامر على ذلك .. بل تجاوز حدود العيش فانتقل الى الصلاة أهم اركان الاسلام .. فأراد ان يقول بان المسلمين يصلــون في الاصطبلات مــع الحمير .. وأراد ان يقول ان النبي محمد (ص) لم يأت الى هنا .. أي لا مكان للاسلام هنا .. هنا مكــان سليمان الذي ملىء بحيرة طبريــا بالماء الساخن ..

سبحان الله .. أهذا اعلام يوجه الى الناس ؟ أين هذا من الاعلام الاسلامي ؟.. القرآن الكريم يقول :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما » .
الاحــزاب : ٧٠

الاعلام الاسلامي اعلام صادق يستند على أسس اخلاقية ركائزه القرآن الكريم والأحاديث النبوية وأحاديث الائمة والصحابــة يستقرأ الواقع ويقيم الحاضر ويوزن الامور بميزان الحق ويقيس القضايا بمقياس الاخلاق .. ورجل الاعلام المسلم .. رجل صادق ، متواضع ، مفكر ،

(١) اساليب الدعاية الامبريالية ــ خالد الراوي ص ٦٢ .

عالم ، نزيه ، متزهد ، قائم في الليل ، صائم في النهار ، ملمّ بامور الناس ومشاكلهم ، يبذل جهوده المخلصة في حل مشاكل الناس ، مسلمّ بامور دعوته ، يعرف من أين يبدأ ويعرف من أين ينتهي ، يعرف مواقع الهجوم فيهاجم ؛ ويعرف مواقع الانسحاب فينسحب في الوقت المناسب وفي المكان المناسب حتى يبقي الآخرين في قبضته وتحت تأثيره .

ورجل الاعلام الاسلامي ملم بالافكار والاتجاهات السياسية المعادية للاسلام يدرسها بدقة من مصادرها الاصلية ويدرس الردود والشبهات حولها ثم يستنبط آرائه التي يطرحها على الناس حسب الظرف والواقع . وهو يلم بلغة البلد الذي يعمل فيه للاسلام .. يستهلك ثقافة ذلك البلد.. يعرف وسائل اعلام البلد من الصحف والمجلات والكتب ودور النشر الى محطات الاذاعة المرئية والصوتية الى السينما الى المسرح الى كل ما يتصل بالحياة الثقافية والفكرية ..

الصورة واضحة تماما في ذهن رجل الاعلام الاسلامي من تصورات حول الكون والحياة والانسان الى العلاقات الاجتماعية الاسلامية الى حكم الاسلام في الزنا والسرقة والربا والكذب واللوط والخمر وغيرها..

والنقطة الخطيرة في الاعلام الاسلامي هي ترجمة كل هذا الكلام الى واقع .. الى عمل .. الى نظام حركي في الارض .. لا يمكن ان يبقى الاسلام جامدا في المكتبات والرفوف المتربة .. ولا يمكن ان يبقى الاسلام جامدا في العقول .. فان دخول الاسلام في الاذهان سوف يوعز الى الاطراف والعيون والجسد بالتحرك ضمن خط الاسلام وضمن منهج الاسلام وفي طريق الاسلام .. الطريق الطويل الذي مات في قطعه الوف الشهداء الذين سقطوا لتبقى كلمة الحق هي العليا وكلمة الباطل السفلى.. لأن كلمة الحق هي كلمة الله ، ولأن الله يوعد المؤمنين بالنصر المؤزر **(وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)** صدق الله العظيم .

الشخصية الاسلامية

مؤسسة اعلامية

دراسات في الاعـــلام

(٢)

الشخصية الاسلامية

مؤسسة اعلامية

زهير الاعرجي
[illegible] كلية العلوم ـ جامعة الموصل

الطبعـة الاولى

١٩٧٧ م ١٣٩٧ هـ

دار التعارف ــ بيروت ص٠ب٠ ٦٤٣

دار الأنــوار ــ بيروت ص٠ب٠ ٨٦٠١

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

اكتسب مفهوم الشخصية اهتماما بالغا من قبل المفكرين لما له من تأثير في بناء النفس والامة .. وقد جاء الاسلام وهو اعظم رسالات السماء ليرفع هذا الاهتمام الى فرض ، ويسمو بهذا المفهوم الى درجات عليا تجمع في الكائن المسلم مفردات تشكيل الكائنين : انسان الارض وملك السماء ، حيث يرحم الانسان لانجازه البناء ويثاب لارتفاعه بالبناء وهو بين هذا وذاك انسانا يمشي على الأرض وقلبه في السماء ..

الشخصية في الاسلام دولة .. والدولة لا تعيش في الخيال فهي رهينة الواقع .. لكنها (أي الشخصية) في نفس الوقت تتحكم بالمصير لأنها تمتلك الطريق الى المصير .. وهي وحدها القادرة على التحكم بهذا الطريق ..

وهذا هو موضوع الحلقة الثانية من سلسلة دراسات في الاعلام.. الشخصية الاسلامية مؤسسة اعلامية .. هذا العنوان قد لا يعطي الشخصية الاسلامية حقها .. لأنها كما قلنا دولة .. والمؤسسة مفرد من مفردات التشكيل في الدولة .. والشخصية هنا ليست مؤسسة وكفى .. بل هي في مجال الاعلام مؤسسة وفي مجال الاجتماع مؤسسة وفي مجال العلم مؤسسة وهكذا .. وبالتالي فهي دولة في الذات ..

ومنه تعالى نستمد الاعتصام وهو ولي السداد والتوفيق ..

المؤلف

بغداد ١٧ تشرين ثاني ١٩٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

« ربنا آتنا مــن لدنك رحمــة

وهيىء لنا من امرنا رشداً »

صدق الله العظيم الكهف ١٠

(١)

في عالم الفكر هناك قضايا عديدة لم تحظ بتعريف موحّد .. ولا باسلوب منسّق يشد فيه الرأي الواحد أزر الرأي الآخر .. من هذه القضايا قضية الشخصية ، ونقول قضية لانها مشكلة قد نغرق في تحليلها قبل أن نصل الى الشاطىء ..

والشخصية مفهوم مستحدث ظهر مع ولادة علم النفس الحديث واعتبر ميدانا مستقلا من ميادين علم النفس .. وقد برزت الحاجة في الدول المتقدمة التي لا تؤمن بالاسلام الى ضرورة اعادة النظر في البناء الاجتماعي والروحي والفكري للانسان بعد ان اظهرت المدنية الغربية والشرقية افلاس ذلك الانسان الفكري والروحي والاجتماعي اولا وبعد ان بلورت المواقف والحوادث افراغه العقائدي وشحته المبدئية ثانيا وبعد ان اظهرت المؤتمرات واحصائيات الرأي العام تسيبه الفكري واخفاقه في تحقيق تصور شامل عن هدف ما في الحياة ثالثا ..

ولهذا سعى بعض المفكرين في الغرب الى استحداث مفهوم جديد لايقاف حالة التداعي التي يعاني منها الانسان الأوروبي .. وتقديم حل جديد لمشكلة قد تغير وجه العالم ، وتقلب تاريخه رأسا على عقب .. فاستحدث مفهوم الشخصية كمحاولة اخرى لبناء شخصية الانسان الاوربي ، وسد الطريق امام أي فكر مناهض يسعى لبناء الشخصية الاوربية من زاوية اخرى ..

ولاقى مفهوم الشخصية في البداية رواجا هائلا باعتباره مفهوما يساهم في حل مشكلة الانسان المعاصر الذي اخذ يحس وهو في قمة عطائه العلمي والحضاري ان بنائه الداخلي ليس مكتملا .. وانه بحاجة الى شيء يسد به نقصا من نواقصه الكونية .. وانه بحاجة الى من يربطه بهذا الكون الذي لا مدخل له ولا مخرج .. وانه بحاجة الى ذلك الشيء الذي يحس وهو في قرارة ذاته بأنه لا يمتلكه ..

وجاءت مفاهيم الشخصية وهي لا تعبر عن طموحات ذلك الانسان.. وأحس بالضياع مرة أخرى .. فهي لم تقدم له ما أراد ان يقول لها .. وهي لم تأمره بان ينظر الى السماء قبل ان ينظر الى الارض .. وبقي الضياع وبقي ذلك الانسان يعيش في الدوامة ..

والشخصية اذا بقيت كمفهوم مجرد فهي لا تقدم أي شيء للانسان.. اما اذا ارتبطت هذه الشخصية بمبدأ وعقيدة وهدف في الحياة .. واستشعرت ان شيئا من الاعلى دائما يترصدها ويرقبها اينما حلت وحيثما ارتحلت .. فان المفهوم الجديد للشخصية يكون له شكل آخر وبناء آخر ..

وقبل ان ندرس الشخصية الاسلامية من الناحية العقائدية والحضارية لا بد لنا من الالمام بالشخصية كمفهوم عام ، ثم نراقب الشخصية في المجتمع الاقطاعي والرأسمالي والشيوعي ؛ باعتبار ان الشخصية في مجتمعات كهذه تعبير عن سلوك اجتماعي معين تحدده المفاهيم التي يعتنقها ذلك المجتمع ..

تعرّف الشخصية بأنها ذلك المفهوم الذي يصف الفرد من حيث هو وحدة متكاملة من الصفات والمميزات الجسمية والعقلية والاجتماعية

والمزاجية التي تبدو في تعامله وعلاقاته الاجتماعية في المواقف المختلفة ، والتي تميزه عن غيره من الافراد تمييزا واضحا . فهي تشمل دوافـع الفرد وعواطفه وميوله واهتماماته وسماته الخلقية وآراءه ومعتقداتـه واتجاهاته ، كما تشمل عاداته الاجتماعية وذكائه وقدراته وميوله ومواهبه الخاصة ومعلوماته وما يتخـذه من اهداف ومثل وقيم اجتماعية ومـن فلسفة واتجاه في الحياة ..

ويحدّد الدكتور مصطفى فهمي [1] مقومات الشخصية بما يلي :

١ ــ العوامل التكوينية .
٢ ــ الذكاء والقدرات .
٣ ــ الانفعالات والعواطف .
٤ ــ العوامل الاجتماعية والثقافية .

١ ــ العوامل التكوينيـة :

على الرغم من ان الشخصية هي موضوع لدراسة نفسية ، الا اننا لا نستطيع ان تتجاهل اثر العوامل التكوينيـة البيولوجية في تكويـن شخصية الفرد وفي تشكيلها وتلوينها الى حد ما . ونعني بتلك العوامل او المقومات حالة الجهاز الغدي والعصبي ويطلق الجهاز الغدي على مجموعة الغدد الصم التي تصب افرازاتها في الـدم مباشرة ، كالغـدة الدرقية والغدة النخامية .. هذه الغدد تفرز مركبات كيمياوية عضوية تسمى « **الهرمونات** » . ولقد ثبت ان لهذه الهرمونات اثرا عميقا في النمو الجسمي والنضج الجنسي والاتزان الانفعالي وحالة الفرد المزاجية .

---

(١) الشخصية في سوائها وانحرافها ــ الدكتور مصطفى فهمي ــ القاهرة ١٩٦٦ ــ ص ١٢ ــ ٤٣ .

فمن اهم الغدد التي تؤثر في سرعة نمو الفرد ، الغـدة الدرقيـة وموضعها اسفل الرقبة امام القصبة الهوائيـة . ووظيفتهـا هي افراز الثيروكسين ، وهو يؤثر في تنشيط الاعصاب . وأي نقص فيه يؤدي الى تأخر المشي والكلام والقدرة على تحريك الاطراف ، كما يجعل نمـو العظام غير طبيعي ويؤثر في تكوين الجسم والهيكل العظمي ويجعلـه معوجا ، بالاضافة الى خشونة الجلد وعدم انتظام الاسنان وتأخر نموها . ومعنى ذلك ان هذه الغدة ان كانت ناقصة الافراز منذ الطفولة المبكـرة أدى ذلك الى تعطل نمو الجسم ، والذكاء والحيوية ، كذلك فان ضعف نشاطها يؤدي الى ضعف عملية التمثيل الغذائي ، ويصبح الفرد خامـلا بليدا ، ويصاب بالبطء في تفكيره وتذكره وحركاته . اما اذا كانت هناك زيادة في افراز الغدة ، فانه ينتج عن ذلك بروز في العينين ، وسرعـة في التنفس . وتتابع في ضربات القلب ، وحساسية شديدة في الناحيـة الانفعالية ، وازدياد نشاط العمليات الحيوية في الجسم ، ويصبح الفرد قلقا متوترا سريع الاهتياج .

وتوجد الغدة النخامية في قاع المخ ، وتتكون هذه الغدة من جزأين هما : الفص الأمامي ، والفص الخلفي ، وتؤثر افرازات الفص الامامي في عملية النمو الجسمي ، فاذا نقصت هذه الافرازات ، يلاحظ تأخر النمو الجسمي ، ويكون ذلك على شكل ضآلة في الجسم ، وتأخر في النضج ووهن عضلات هيكل الجسم .

وتقع الغدة التيموسمية فوق القلب ، والغدة الصنوبرية في قـاع المخ خلف الغدة النخامية . وتتعرض الغدتان عادة للضمور قبل مرحلة البلوغ . وهذا الضمور يتيح فرصة العمل للغدد التناسلية . واذا لم تضمر هاتان الغدتان ، بقى الفرد ــ رغم نموه الجسمي ــ كالطفل في سلوكه ، وعاش ضعيف الارادة . وقد يحدث احيانا ضمور هاتين الغدتين في وقت

مبكر ، فتنشط الغدد التناسلية وتعمل السن المألوفة ، وعندئذ يحدث النضج الجنسي المبكر •

والغدد التناسلية تفرز هرمونات ذات آثار هامة في النمو والسلوك• فهي تنشط الدافع الجنسي ، وتعين على نضج الاعضاء التناسلية ، وعلى ظهور الصفات الجنسية الثانوية كظهور اللحية وتضخم الصوت عند الذكور ، ونمو الفخذين وبروز الصدر وترسب الشحم تحت الجلد عند الاناث • ويبدو ان هذه الهرمونات من العوامل التي تساعد على ظهور سمات الذكورة والانوثة الخلقية عند الفرد •

اما الباراثيرويد فهي عبارة عن اربع غدد صغيرة ملاصقة للغدد الدرقية • وافراز هذه الغدد له علاقة بحاجة الجسم الى الكلسيوم والفسفور ، وينتج عن نقص افراز هذه الغدد آلام في المفاصل ، كما ينتج عن زيادة افرازها ليونة في العظام تجعلها مشوهة •

وفوق الكليتين غدتان صغيرتان يفرز نخاعهما مادة الادرينالين ، وتسمى بالغدد الادرينالية • وتتكون كل غدة منهما من جزأين : جزء خارجي ، وجزء داخلي • ويفرز الجزء الخارجي هرمونات لها علاقة كبيرة بالمهارة العضلية وبالنواحي الجنسية والعقلية • اما افرازات الجزء الداخلي فهي تقوي الجهاز السمباتاوي ، وتجعل الجسم أكثر قابلية لمواجهة المواقف الفجائية • فكأن وظيفة هذه الافرازات هي تنشيط الفرد تنشيطا عاما •

لاحظ عظمة الخالق في تنظيم العمليات الحياتية الدقيقة في الجسم وصدق الله العظيم في قوله **(انا انزلنا كل شيء بقدر)** •

هذا عن الجهاز الغددي •• اما الجهاز العصبي فهو الذي يشرف على جميع الوظائف العضوية ويؤلف بينها ، وبالتالي هو الذي يحقق

وحدة الكائن الحي وتكامله . وهو مجموعة من المراكز مرتبطة بعضهـا ببعض على الرغم مما لبعض المراكز السفلى من استقلال نسبي . واليها ترد التنبيهات الحسية من جميع انحاء الجسم ، سطحية كانت او عميقة . وعنها تصدر التنبيهات الحركية الى الغدد الصماء وغير الصماء والـى العضلات الملساء والمخططة .

والجهاز العصبي المركزي قسمان : قسم يشرف على وظائف التغذية والافراز يعرف بالسمبتاوي ، وقسم يشرف على النشاط الحسي والحركي الذي يصل بين الكائن الحي وبيئته ، وهو مكون من المخ والمخيخ وقنطرة فارول والنخاع المستطيل والنخاع الشوكي [1] .

وفي الواقع ان هناك صلة بين الجهاز العصبي وبين مهارات الفرد الحركية ، وذكائه ، ومواهبه الخاصة .. فالتكوين العصبي للفرد يرسم الحدود التي لا يستطيع النمو ان يتجاوزها . يضاف الى هذا ان اصابة المخ بتلف او عطب تقترن بها في العامة اضطرابات ملحوظة في الشخصية منها الامراض العصبية والامراض العقلية العضوية . وبالرغـم من ان العوامل التكوينية هي عوامل بيولوجية لا دخل فيها للمخلوق فان لهـا تأثيراً كبيراً في صياغة الشخصية في التكوين والشكل ..

٢ ــ الذكاء والقدرات :

الذكاء هو النباهة والتفطن ، والمهارة في معاملة الناس . ويميـل العلماء الى اعتبار الذكاء قدرة عامة لا تكتسب عن طريق التعلم والخبرة والتحصيل ، وانما هي موهبة طبيعية يقذفها الله في عقول بعض الناس . وهم بذلك يميزون بين الذكاء وبين العلم والثقافة .

---

(١) د . يوسف مراد : مبادىء علم النفس العام .. ص ٥٢ .

ولقد اختلفت نظرة علمـاء النفس المحدثين الى الذكـاء وتعددت تعريفاتهم • فقد عرفه « شتيرن » بأنه القدرة على تحقيق التكيف بـين الشخص وبين المواقف الجديدة • في حين يعرفه « تيرمان » بأنه القدرة على التفكير المجرد ، اما « كلفن » فانه يعرف الذكاء بانه القدرة علـى التعلم ، في حين يرى « بيرت » بان الذكاء هو القدرة المعرفية الفطريـة العامة • اما « ثورنديك »فانه يرى ان ليس هناك شيء اسمه الذكـاء العام ، بل هناك عدد من القدرات الخاصة المستقل بعضها عن بعض ؛ وان ما يسميه الناس بالذكاء ليس الا المتوسط الحسابي لهذه القدرات عند الفرد • وقد ميز بين أنواع ثلاثة من الذكاء ، فهناك الذكاء النظري وهو يتألف من القدرات التي يستخدمها الفرد في معالجـة المعاني والرموز ، والذكاء العملي ويتألف من القدرات التي يعالج بها الفرد الاشياء العملية والمواقف المحسوسة ، ثم الذكاء الاجتماعي ويتألف من القدرات التـي تظهر في التعامل الاجتماعي بين الناس •

والاتجاه الحديث في موضوع الذكاء يرى ان كل النشاط العقلـي المعرفي يتضمن عاملين رئيسيين : اولهما هو العامل العام الذي يدل على القدر المشترك القائم بين جميع نواحي النشاط العقلي المعرفي ، وثانيهما هـو وجـود قدرات خاصـة كالقدرة اللغوية او القدرة العدديـة وغير ذلك •

ولكن هل معنى ذلك ان الذكاء لا يتأثر بالتعلم والخبرة ؟•• والى أي حد يتأثر الذكاء بالعوامل البيئية ؟•• ان موضوع الذكاء ومـدى تأثره بالعوامل البيئية •• ثقافية كانت ام اجتماعية ــ كان وما زال موضع دراسات ادت الى نتائج متعارضة ــ فلقد شاع بين العلماء في بدايـة القرن العشرين ان الذكاء كمية ثابتة ، وان النمو تسيطر عليه وتحـدده عوامل وراثية معينة بحيث انه لا قبل للانسان بان يغير من نسبة ذكائه ،

اذ ينمو الذكاء مع الانسان بمعدل محدد ، وان نمو الانسان عملية تفتح تلقائي ذاتي •

غير ان نتائج الدراسات التجريبية قد وجهت الانتباه الى حقيقة هامة هي ان الجينات التي خلقها الله انما تفرض الحدود التي لا يمكن ان يتخطاها الفرد في نموه العقلي دون ان تضمن للفرد بلوغها والوصول اليها ، ولهذا يمكن ان يقال ان الجينات لا تحدد مستوى الذكاء على النحو الذي نقيسه عليه ، وان للخبرة والتأثيرات الحضارية والبيئية أثراً اكبر مما كان يظن من قبل •

ويقصد بالذكاء في علم النفس القدرة العقلية الموروثة الكاملة الشاملة • وهي قدرة موروثة او على الاقل فطرية ، بمعنى انها ليست وليدة التدريب او التعليم وهي عقلية غير انفعالية ولا خلقية ، وهي عامة غير نوعية ، بمعنى انها لا تقتصر على نوع بعينه من الاعمال وانما تدخل في كل ما نفعله او نقوله او نفكر فيه • وهي من الخصائص الذهنية الاكثر أثراً في حياة الفرد •

ويتعجب بعض علماء النفس من ان يسود مثل هذا الاعتقاد بثبوت الذكاء لدى اصحاب علم النفس والمربين الذين يؤمن اكثرهم ان في وسع الانسان تحسين حالة الذكاء وترقيتها بالتربية والتعليم ، كما رأى هذا البعض في ذلك لونا من عدم الاتساق او التناقض الفكري •

وفي الواقع ان البينة التجريبية لم تكن تؤيد كلها الزعم بثبوت الذكاء وانه قدرة ثابتة تحددها الوراثة الجينية ، بل اثبتت كثير من الدراسات ما للبيئة والعوامل الحضارية من اثر في الذكاء •

ويبدو ان الافراد الذين تزداد نسب ذكائهم يستطيعون الاستفادة اكثر من غيرهم من الفرص التي تتاح لهم للتعلم واكتساب الخبرات •

وهم لذلك يجمعون معلومات فكرية اكثر ، ويصبحون اكثر فاعليـة في التعلم وحل المشـكلات ..

ويدعم هذا الفرض دراسة مقارنة لسمات الشخصية بين مجموعتين: الاولى كان معدل سرعة النمو العقلي لأفرادها اكثر تناقصا . وقد وجد من النتائج التي اتضحت من هذه الدراسة ان المجموعة الاولى قد تفوقت في كثير من سـمات الشخصية مثل الاستقلال ، والثقة بالنفس ، واظهـر أفرادها ميلا اقوى في نواحي النشاط العلمي ، وكانوا اكثر فاعلية واكثر مثابرة ، وحققوا اشباعا ذاتيا اكثر في حل المشـكلات ، وكانوا جادين في عملهم ، واكثر طموحا في مدارسهم ومعاهدهم ، وكانوا اكثر تنافسا في النواحي الدراسية والرياضية والنشاط الاجتماعي .

٣ ـ الانفعالات والعواطف :

تتميز الشخصية ببعض السمات الانفعالية والعاطفية . فنلاحظ مثلا ان هناك اشخاصا يميلون بطبعهم الى التفـاؤل والاستبشـار ، او الى الاكتئاب والانقباض ، وآخرين معرضون الى ارتفاعات وانخفاضات في حالتهم الانفعالية الغالبة ، ونوعا آخر يستثار انفعاليا لاقل الاسبـــاب او يكون رقيق الاحساس والعاطفة وهكذا .

ويستثار الانفعال تحت تأثير عوامل داخلية او خارجية وللانفعال اثره في ابراز الدافع ، فأحيانا يقويه ، كما يحدث في دافع الهجوم ، ذلك ان الانفعال المصاحب لهذا الدافع (الغضب) من شأنه ان يقويه وينشطـه. واحيانا اخرى نجد ان الانفعال المتسبب عن موقف ما ، قد يؤثر في الدافع فيضعفه ، كأن ينهار مقاتل عندما يرى ان العدو قد اطبق عليـه فيضعف دافعه في القتال .

ومعنى ذلك ان الانفعالات تتصل بدوافع السلوك اتصالا وثيقا حتى اننا نستطيع في معظم الدوافع ان نميز انفعالا مصاحبا لها ؛ فدافع الهرب مثلا يصحبه انفعال الخوف ، والدافع الجنسي تتصل به الشهوة ، ودافع الامومة يلازمه الحنان .

ولكن ليس من السهل علينا في الحياة اليومية ان نميز الى جانب الدوافع انفعالات بهذا التحديد . هذا اذا نظرنا الى الدوافع في ذاتها ، اما اذا نظرنا الى السلوك . فقد جرت العادة على ان يقال : ان هذا السلوك « سلوك منفعل » ، وذلك سلوك « غير منفعل » . ويقصد بذلك ان الانفعال المصاحب للاول ، انفعال قوي ، في حين انه في الثاني انفعال هادىء . فالحياة النفسية اذن لا يمكن ان تخلو من الانفعال ان كنا بصدد سلوك تنج عن دافع . اما لماذا نعتبر بعض الاستجابات منفعلة ، بينما نعتبر البعض الآخر غير منفعل ؟.. فان الاستجابات المنفعلة تنتج عن ظروف معينة نذكرها فيما يلي :

أ ـ عندما يكون الدافع قويا ، فهنا تصحب الاستجابة دائما حالة انفعالية ، يقوم الكيان العضوي تحت تأثيرها بمجهود مضاعف لتحقيق الغرض . فعندما يشتد دافع الجوع لدى الامة تنتج عن هذا حالة انفعالية تتمثل في الغضب والقلق والثورة .. اما في الظروف التي يكون الجوع فيها محتملا ، او محاطا بظروف تخفف من حدته ، كما يحدث عندما تكون آلامه صائمة ، ففي هذه الحالة تقل حدة الدافع ومن ثم لا يصاحبه انفعال .

ب ـ عندما تقف عقبة من العقبات في سبيل تحقيق الدافع فان وجود هذه العقبة يثير الانفعال . ففي حالة ميل الفرد الى تملك شيء ما ، اذا كان الحصول على هذا الشيء ميسورا ، لا تحول دونه أية صعوبة ،

فليس ثمة داع الى وجود انفعال • وعلى العكس من ذلك اذا اعترضت الصعوبات هذه الرغبة ، فان من الضروري حدوث الانفعال الذي يحمل الفرد على ان يضاعف مجهوده للحصول على ما يرغبه •

جـ ـ الانفعال في الحالتين السابقتين من النوع الايجابي الذي يؤدي الى تقوية الدافع • غير انه هناك في بعض الحالات الأخرى انفعال من النوع السلبي ، ومن امثلة ذلك الانفعال : الشعور بالفرح والغبطـــة عندما يتحقق الغرض الذي يرمي اليه الدافع على نحو غير منتظر ، وكذلك عندما يزول عائق يقف ضد تحقيق الدافع •

والمهم في كل هذه الحالات : ان الشخصية الجيدة هي التي يتســم سلوكها وتصرفاتها ودوافعها بالاتزان الانفعالي •

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تلعب العواطف دورا هاما في الشخصية حيث انها تعتبر مقوما هاما من مقومات الشخصية الانسانية •

والعاطفة استعداد نفسي ، ينشأ عن تركيز مجموعة من الانفعالات حول موضوع معين ، ذلك لأن هذا الموضوع في خبرة الشخص الماضية كان مثيرا لعدة ميول مختلفة ، ونتج عن تكرر هذه الاستثارة ان اصبح الفرد مستعدا للاستجابة الانفعالية (على نحو ما) له ، استجابة تختلف باختلاف الموقف الذي يوجد فيه • فالعاطفة اذن هي عبارة عن اتجـاه وجداني نحو موضوع بعينه ، مكتسبة بالخبرة والتعلم •

والفرق كبير بين العاطفة والانفعال • فبينما يكون الانفعال تجربـة عابرة اذا بالعاطفة نزعة مكتسبة تكونت بالتدريج بعد انمرت خـلال تجارب وجدانية واعمال عديدة •

ان عناصر العاطفة ليست امورا جديدة ، اذ هي موجودة اصلا في نفس الفرد ، وانما تنتظم فيما بينها ، ثم تدخل في تركيب لم يكن موجودا من قبل •

ان هذه التراكيب او المجاميع الجديدة تكسب الحياة الانفعالية المتقلبة قدرا من الانسجام ، وهي تتجمع من جديد في مجاميع اوسع . وهذه بدورها حين تتجمع ثانية في نظام واحد شامل متناسق ، تكون ما نسميه بالشخصية . وتعطي العواطف الثابتة للحياة الوجدانية نظاما واتساقا نحو اهداف بالذات ..

ومعنى هذا ان العاطفة تتكون نتيجة لتجمع عدة انفعالات حول موضوع معين ـ غير انه مما ينبغي ان نفطن اليه ان مجرد وجود هذه الانفعالات غير كاف لتكوين العاطفة ، ولكن لا بد الى جانب ذلك من توفر بعض العوامل التي من شأنها ان تساعد على تنظيم تلك الانفعالات في تركيبات جديدة تكون العواطف :

ا ـ التكرار : لا يكفي لتحول الانفعال الى عاطفة ان يحدث مرة واحدة ، ولكن لا بد لذلك من ان تتكرر مرات حدوثه حول الموضوع ، فالتكرار هو السبيل الوحيد لربط الانفعال به ، وتركزه حوله ، الى جانب ما يثيره من انفعالات اخرى تدخل في تركيب العاطفة ، وذلك واضح في تكون عاطفة حب الام لابنها ، وعاطفة بغض الطفل لمدرسه ، فان تكرار الحنو في الحالة الاولى في مواقف متنوعة ، وكذلك تكرار انفعال الخوف في الحالة الثانية ، يعتبران النواة التي تجمعت حولها الانفعالات الأخرى المكونة للعاطفة .

ب ـ الايحاء والتقليد : كثيرا ما يظهر اثر هذين العاملين في تكوين العواطف الاجتماعية كالوطنية . فان امثال تلك العواطف انما تنشأ في احضان المجتمعات ـ فالفرد في الامة التي تسودها تلك العاطفة ، يضم صوته الى اصوات مواطنيه هاتفا بعظمة بلاده وسيادتها ، وبذلك يكون وطنيا .

٤ ـ العوامل الاجتماعية والثقافية :

يؤكد معظم علماء النفس ان شخصية الفرد تنمو وتتطور داخل الاطار الاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه ويتفاعل معه ، فالمعروف ان الفرد يولد مزودا بأنواع شتى من الاستعدادات الجسمية والعصبية والنفسية ، تظهرها وتبلورها المؤثرات المختلفة من بيئته المادية والاجتماعية والثقافية ، على ان أهم هذه المؤثرات هي التي تأتيه من تلك الجماعة الصغيرة التي تحيط به وترعاه في سنواته الاولى خاصة وهي الاسرة ، فهي كمجتمع صغير عبارة عن وحدة حية ، لها وظيفة تهدف الى انماء الطفل انماءا اجتماعيا جيدا ، ويتحقق هذا الهدف بصفة مبدئية عن طريق التفاعل العائلي الذي يحدث داخل الاسرة والذي يلعب دورا هاما في تكوين شخصية الطفل وتوجيه سلوكه ،

ويختلف التفاعل الاجتماعي بمعناه العام عن التفاعل العائلي ، في ان هذا النوع الاخير من العلاقات الاجتماعية ، يمتاز بخصائص معينة ، تقوم على أسس من الود والاخاء والحرية والصراحة مع الاستمرار والدوام ، وتلك صفات لا نراها بوضوح في أي علاقات اجتماعية اخرى ،،

ان الطفل في هذا الجو العائلي يتعلم كيف يعيش ، وفيه ينمو ، وتتكون شخصيته وعاداته ، واتجاهاته ، وميوله ، واسلوبه في الحياة ، ولكي ينمو الطفل نموا صحيحا يجب ان تتوفر في هذا الجو الامور الآتية:

أ ـ ان يشعر الطفل انه مرغوب فيه ، محبوب ، وتحقيق هذه الحاجات النفسية عن طريق الوالدين والاخوة يعتبر الدعامة الاولى لتقوية الروابط الوجدانية بين الاطفال وذويهم ، وان طفلا يترعرع في جو من الخوف او الكراهية او الاحساس بالاثم ، لخليق ان تنتابه نزعات عدوانية شريرة ،

ب ــ تعتبر الاسرة المسرح الاول الذي ينمي فيه الطفل قدراته . ويكون ذلك عن طريق اللعب ، ومشاركة رفاقه في لهوهم وخبراتهم . ولا شك ان للتشجيع والمنافسة المشروعة اثرها في نمو هذه القدرات وتطورها. ويحسن الا نصدم الطفل بأمور لا يفهمها ، او يصعب عليه القيام بها حتى لا يدب اليأس الى نفسه .

والطفل في السنوات الاولى يميل الى ان تشعره بذاتيته وبأنه فرد يستطيع ان يقوم بأعمال ، ولذلك نراه كثيرا ما يلفت نظر من حوله ليشاهدوا ما يقوم به من اعمال ، ويحسن اذ ذاك ان نغدق على هذه الاعمال بكلمات الاستحسان والتشجيع . فالطفل اذ يقوم بنشاط معين انما يريد ان يشبع حاجة من حاجاته النفسية ، واعني بها الحاجة الى التقدير .

جـ ــ يستطيع الطفل في محيط الاسرة ان يتعلم كيف لا يكون انانيا، بمعنى انه يتعلم كيف يحترم حقوق الغير ، كيف يتلائم مع غيره من افراد الاسرة ، من والدين واخوة واقارب .

د ــ يتعلم الطفل في الاسرة المبادىء الاولى التي يسير عليها في التعامل مع الغير ، ويكون ذلك عن طريق ملاحظته لسلوكهم واستجاباتهم في المواقف المختلفة . فالاطفال في هذه السن المبكرة يكتشفون ويحسون بكل ما يدور حولهم ، وتصدر منهم عبارات ساذجة فيها تحليل كامل لسلوك من حولهم من افراد .

هـ ــ يكوّن بعض الاطفال في هذه السن المبكرة بعض الاتجاهات بطريقة لا شعورية ناتجة اساسا من اسلوب التربية الخاطىء الذي يعاملون به . ومن هذه الاتجاهات ما يتكون نحو الوالدين ، ان الوالد في نظر بعض الاطفال انما هو رمز للسلطة .

و ــ يكتسب الطفل ــ نتيجة تفاعله وخبراته في الاسرة ــ مجموعة من العادات العادات ، عادات خاصة بالمأكل والملبس والطعام وطريقة المشي والكلام والجلوس والاستحمام والنوم ومخاطبة الناس .. الخ .

ز ــ وللاسرة وظيفة اخرى ، فعن طريقها يتعلم الطفل العقيدة والافكار التي تدل على التسامح او التعصب . وفي هذا يقرر بعض علماء النفس « ان الاتجاهات الوالدية هي نتاج للمؤثرات الثقافية السائدة في المجتمع . فالآباء هم المصدر المباشر للمعتقدات والاتجاهات وانماط السلوك الاجتماعي عن طريق ما يغرسونه منها في النشء .. انهم الاساس التربوي للمجتمع . وما تقوم به المدرسة ودور العبادة ، وزملاء اللعب وغير ذلك من المؤسسات الاجتماعية انما هو لتأكيد دور الاسرة وبلورته .. » .

ان الاسرة تكاد تكون الاداة الوحيدة التي تعمل على تشكيل شخصية الفرد ، وبلورة الخصائص التي يتميز بها كفرد له دور اجتماعي معين . وتتم عملية التشكيل بحسب الانماط الثقافية للمجتمع ، وبحسب الاطار الاجتماعي الذي يتحرك فيه ويتفاعل معه . ان الاسرة هي الاداة الرئيسية تقريبا التي تنقل الى الفرد كافة المعارف والمهارات والاتجاهات التي تسود المجتمع ، بعد ان تترجمها الى اساليب عملية لتنشئته النشأة الاجتماعية . فالاسرة تنتقي من التراث الثقافي بما يحتويه من ذخر هائل من العادات والتقاليد والقيم والاتجاهات تنتقي منه ما يوائم ظروفها الخاصة وتاريخها وتقاليدها ومكانتها الاجتماعية والثقافية ..

وبهذا تعمل الاسرة في تنشئة الفرد وتكوين شخصيته في اتجاهين متداخلين : احدهما هو تطبيعه بالطباع التي تتمشى مع ثقافة المجتمع بصفة عامة ، وثانيهما هو توجيه نموه في داخل هذا الاطار في الاتجاهات التي تتمشى مع ثقافة الاسرة ذاتها .

وباتساع المحيط الاجتماعي للطفل يتعرض لمؤثرات اخرى خارج الاسرة ، من زملائه في المدرسة ورفاقه في اللعب ، ومما لا يتفق له ان يقرأه او يسمعه او يطلع عليه . فاذا ما شب عن الطوق واتيح له ان يبسط صلاته الاجتماعية عن طريق مهنته او زوجته واولاده ، وعن طريق المؤسسات الثقافية والادوار المختلفة التي يقوم بها في هذه المجالات المختلفة . تعرض لمؤثرات اخرى يكون لها بعض الاثر في تحوير سمات شخصيته او تهذيبها او العمل على تركها . والفرد في اثناء هذا التفاعل المطرد مع الكيان الاجتماعي والاطار الثقافي الذي يعيش فيه تتكون شخصيته وتنمو ويتعين شكلها ، ويتخذ سلوكه نمطا معينا ، ويتعدل بفعل ما يمر به من خبرات .

ومعنى هذا ان الشخصية لا تتكون وتنمو الا نتيجة لتفاعل التكوين البيولوجي للفرد مع العوامل البيئية الاجتماعية والثقافية .

ان الشخصية في العرف العام هي محصلة تفاعل عوامل بيولوجية مع عوامل اجتماعية ثقافية بوجه عام . فللمجتمع والثقافة المميزة اثر كبير في شخصيات افراده ، فثقافة المجتمع بدرجة كبيرة اكتساب الفرد للكثير من عادات الحياة اليومية في المأكل والملبس والمشرب وللتقاليد والمثل وفلسفة الحياة التي يسير عليها . بل وكذلك تؤثر في طرق التفكير والتعبير عن الانفعالات والعواطف ، وفي تعلم قيم الحق والباطل ، والعدل والظلم والجمال والقبح .. الى غير ذلك من العادات والاتجاهات والقيم . ويمكن ان يقال ان الشخصية هي مرآة تنعكس عليها صورة الثقافة ، فتتأثر بالاطار الثقافي العام للمجتمع الذي تعيش فيه . وكذلك بالكيان الاجتماعي الذي تنتمي اليه ، هذا فضلا عن ظروف الاسرة المباشرة . ومن ثم تتشكل هذه الشخصية تبعا لثقافة المجتمع ، وللثقافة الخاصة التي تنتمي اليها .

هذه هي مقومات الشخصية بشكلها العام وقد استندنا في نقلها الى المصدر الآنف الذكر •• وهي بهذا الاسلوب لا تقدم شيئا جديدا يمكن ان يضاف الى المدرسة الفكرية التربوية او الى النظام الاجتماعي القائم •• ونحن نحس ان هذا العرض لا يعطي الصورة الحقيقية المتكاملة للشخصية التي يعبر عنها الانسان الحضاري ••

(٣)

لنرى الآن تكوين الشخصية في المجتمعات كل حسب مبدأه •• ففي المجتمع الاقطاعي نلاحظ ان الشخصية بنوعيها (شخصية الفلاح الكادح ، وشخصية الاقطاعي المترف) مهزوزة ، قلقة ، لا تستند على أسس منطقية وليست لها مقاييس موضوعية •• تتحكم بها الفردية •• الارتجال •• الارهاب ، الجهل ، شحة الروحية ، اللا اخلاقية •• وهي بذلك ترسم لنا صورة مشوهة فعلا للشخصية الانسانية ••

اما في المجتمع الرأسمالي •• فان الحرية التي يكتسبها الشخص في ذلك المجتمع لا ترسم في مخيلته صورة الالتزام •• فحدود حريته تنتهي عندما تبدأ الاضرابات والمشاغب الفكرية والفوضى الاقتصادية •• اما الالتزام الخلقي •• اما الالتزام الديني •• فهذا كله يعيش في ضمير المكتبات لا في ضمير الامة ••

فالشخصية في هذا المجتمع •• شخصية ناقصة •• ليست لها حدود وليست لها ضوابط •• لا تعدو ان تكون مجرد شبح خافت لا يعيش في ضمير الامة ولا في ضمير الفرد ••

اما في المجتمع الاشتراكي ومن ثم الشيوعي •• فالشخصية هنا

تختلف تماما ، لأنها تفقد احد اهم عناصرها الأساسية ، وهو الايمـان بالله •• فالانسان بطبيعته يمتلك التصور •• والتصور نتيجـة حتميـة للتأمل والتفكير •• ويعبّر عن العلم دائما بأنه انطباع صورة الشيء في الذهن •• والتصور له حدّان لا ثالث لهما اما تصور صائب واما تصور خاطيء •• وصواب التصور تشكيل صائب لمفردات هـذا التصور •• والعكس صحيح •• فلو كان تصور الانسان للكون صائبا فالمفروض بديهيا ان تكون مفردات هذا التصور صائبة •• وأساس المفردات هذه هو الالمام بالصورة المتكاملة لهذا الكون وخالق هذا الكون •• فكيف بنا امام مفرد عاجز لا يستطيع الالمام بنفسه •• أيستطيع هذا العاجـز تشكيل مثل هذا التصور ؟•• والنظرة الماركسية تصور عاجز •• وناقص، لأن مفرداتها عاجزة عن تشكيل أي تصور متكامل عن الكون والحياة والانسان •• والشخصية مرآة لمبادئها ومفاهيمها وشخصية تمتلك مبادىء ناقصة عاجزة لا بد ان تكون عاجزة عن تشكيل مفاهيم أساسية عن الكون والحياة والانسـان ••

(٤)

ان صياغة شخصية تعطي الانسان بعدا حضاريا عظيما ؛ وتجعلـه قادر على ابتداع نموذج حضاري للبشرية •• وتخلق من ذلك الانسان المبعثر ملكا يمشي على الأرض •• ان صياغة هذا الشكل من الشخصية لا يمكن ان تتم الا بتوافر قاعدة فكرية اصيلة ونظام آلهي اسمى من نتاج أية خلايا دماغية لانسان ما ••

وهذه القاعدة الفكرية وهذا النظام لا يتوافران الا في الاسلام •• لكون الاسلام نظام آلهي تكتمل فيه مفردات التشكيل اولا ، ولكون

الاسلام تكوين يستوعب جميع المفردات ثانيا .. فهنا لا افراط ولا تفريط، ولا غلق ولا تجميد .. بل تقدير وترتيب ، وانفتاح وتجديد ..

والشخصية في الاسلام مركز علاقات وعصب مواصلات .. علاقة الانسان بالله .. علاقة الانسان بالكون .. علاقة الانسان بالمجتمع ، فالعلاقة الاولى حبلها الايمان والروحية ، والعلاقة الثانية حبلها الفكر والعقل والتأمل ، والعلاقة الثالثة حبلها الاخلاق والثقافة .. وهي بمجموعها تشكل في النفسية الاسلامية عقدة التقوى ..

والشخصية في هذا التكوين مقاديرها موزونة .. فالحب ميزان .. والحزن والفرح حدود .. والعبادة مواقيت زمنية .. والفكر محطات زمنية .. والعمل عبادة .. وذكر الله ، عمل بلا حدود ضمن اطار الطاقة الانسانية ..

والشخصية في التكوين الاسلامي هادفة ـ بمعنى انها تسعى لضبط مفرداتها وتدقيق اركانها حتى يكون التشكيل ممتلئا امام خالقها وبارئها رب العالمين ..

والشخصية الاسلامية مؤسسة متنقلة في الاعلام والفكر .. هذه المؤسسة تحمل في جهازها أرقى رسالات السماء واعظم كتب السماء والارض (القرآن) ..

ان الشخصية الاسلامية لها أسس ترتكز عليها في تثبيت اركانها السلوكية .. هذه الاسس يمكن اجمالها كالآتي :

١ ـ الفكر .

٢ ـ العاطفة .

٣ ـ الروح .

٤ ــ الهدف .

٥ ــ الجسد .

٦ ــ القيادة والحركية والايجابية .

٧ ــ التقوى .

هذه الأســس ليست متحاجزة بل متفاعلة فيما بينها ، والغاء أي منها يؤدي الى نقص في التشكيل وضمور في الاداء ..

ان استثمار هذه الأسس استثمارا موضوعيا متناسقا كفيل بصياغة التكوين وتحرير الشكل من ادران الجاهلية ومشتقاتها ..

١ ــ الفكر :

هناك من يدعو الى (انفتاح فكري) في الشخصية الاسلامية .. لأن الانسان ان يغلق فكره .. فتلك هي قمة المأساة !!.. ونحن نضيف ان الانفتاح الفكري ليس ظلا في الاسلام .. وانما يحمل من الاصالــة ما يجعله يولد مع ودة الاسلام دائما وفي كل مكان ..

والاسلام يعطي الفكر لونا جديدا .. وطعما جديدا عندما يربطه بحلقة الايمان وسلسلة التقوى ..

والانفتاح الفكري في الاسلام يعني ان الانسان المسلم ملزم بأن يعيش في عوالم فكرية قد تناقض الفكر الاسلامي او قد تؤيده .. ثــم يخرج من هذه العوالم بدراسات نقدية ودراسات مقارنة يبيِّن فيهـــا وجهة نظر الاسلام وموقفه من التحديات الفكرية الراهنة ..

ان خالق هذا الكون وخالق هذا الانسان حين يقرر ان التفكير ركن من اركان الاسلام وطريق يوصل ذلك الانسان الى الايمان برب العالمين

يعلم ان في فطرة الانسان حاجة غريزية للفكــر •• وان في عقل الانسان من جهــة أخرى فيض غريزي من الفكــر •• هذا الفيض فيــه عطاء •• وفيه ثمــر ••

ان الفكر الشريف اذا ازدوج بالهدف ونبت في شخصية الانسان •• كان ذلك الانسان شاهدا على الناس بمعنى انفصال الشاهد عن المشهود•• لنقرأ معا النص التالي الذي كتبته يد مسلمة استحيت من الله ان تكتب اسمها الصريح •• ونستشف من النص مجملا رائعا للعقيدة الاسلامية •• تبين مدى ما تحمله الشخصية الاسلامية من فكر ••

« الاسلام دين فذ بين الاديان ودعوة اجتماعية وانسانية فريدة في واقعيتها واصالتها بين الدعوات الاجتماعية والانسانية •

فان التصور المعاصر للدين ــ وهو تصور اشاعه اعداء الاسلام في بعض الاوساط المسلمة ــ يتلخص في ان الدين حالة وجدانية خالصة ودعوة روحية صرفة ، واذا كان الدين حالة وجدانية فهو نشاط فــردي متروك أمر الاستجابة له والانخذال عنه للفرد ولا علاقة له بالمجتمع ، واذا كان دعوة روحية فهو لا يعني بنشاط الانسان الدنيوي المــادي من قريب ولا من بعيد ، بل هو ــ وهذه طبيعته ــ بحمل الانسان على التجرد من عالمه الدنيوي مهما استطاع •

والتصور المعاصر للدعوة الاجتماعية ــ وهو تصور ارتضاهالغربيون لانفسهم يتلخص في ان الدعوة الاجتماعية نظام دنيوي بحت ، لا يعني بغير المادة وتقلب الانسان فيها ، ويمجد كل نشاط مادي ، ولا يقيم وزنا لأي جهد بشري يهدف الى غاية غير مادية •

ولا يفوتنا التنبيه على ان التصور المعاصر للدين نتــاج مسيحي خالص ، فالمسيحية الرسمية ــ وهي تقف موقفا سلبيا من كــل نشاط

دنيوي ـ اتخذت من قبـل المستعمرين المسيحيين نموذجا لكـل دين واعتبر هؤلاء ان موقف جميع الاديان من الحياة الدنيوية هـو موقف المسيحية ذاته لأن النشاط المبذول في سبيل غاية مادية رجس يحول بين الانسان وبين الطهارة والسمو ، كما ان التصور المعاصر للدعوة الاجتماعية ثمرة من ثمرات نظرة الحياة الاوروبية الى الانسان .. فان الانسـان الاوروبي الحديث ـ بعد ان عجزت المسيحية ، لما فيها من سلبية ، عـن تقديم الحلول الصحيحة لمشاكله الآنية وتنظيم حياته الدنيوية على النحو الذي يلبي حاجاته كانسان يسعى الى السعادة الدنيوية ـ رفض الديـن ممثلا في المسيحية واتجه شطر العلم المادي الذي لا يملك القدرة على تبين ما وراء المادة من قوى غير منظورة ، فقامت الحضارة الاوربية المعاصرة على فكرة ان الانسان حيوان لا يميزه أي شيء عن سائـر الأنواع الحيوانيـة سوى الفكـر ، انه كتلـة من المادة الحية فقط ، والمادة هي كل كيانـه المنظور ، ولذلك فعلى كل دعـوة توضع من أجلـه الا تهتم بغير هذه المادة وحاجاتهـا .

ولكن الانسان في الاسـلام غيره في المسيحيـة وغيره في الحضـارة الحديثة . انه ليس روحاً يلوثها كل نشاط مادي وليس مـادة يشلها عـن ممارسة الحيـاة كل اهتمام بالروح وحاجاتها وانما هو مادة وروح : مادة لها حاجاتها ومطالبها التي لو حبست منها لشل الانسان ، ولاستحال الـى كائن سلبي لا يعمر الحياة ولا ينفع الاحياء ، وروح لها مطالبها وحاجاتهـا التي لو حبست عنهـا لغدا الانسان حيـوانا يدمر الحيـاة والاحيـاء ، حيواناً توجهه الغريزة الاكـول دون ان يكون لها طابع من خلق او ضمير .

وهكذا نظم الاسلام حياة الانسان على أساس الاعتراف بشطريـه : الروحي والمادي ، هذين الشطريـن اللذين اذا توحدا وانسجما كان منهما الانسان القادر على ان يرتفع الى مرتبة الملك بما فيه من قوى الروح ،

والقادر على ان يهبط الى مستوى الحيوان بما فيه من قوى المادة وهـو بالخيار بين هذا وذاك •

وقد تضمن اعتراف الاسلام بهذه الثنائية في طبيعة الفرد الانساني حالا لمشكلة هذا الفرد الذي كان ــ ولا يزال في مجتمعات كثيرة ــ ممزقا بين الدعوات التي عميت عن ادراك طبيعته الثنائية فجعله بعضها روحاً خالصة وجعله بعضها الآخر مادة خالصة ••

والانسان الفرد ليس معلقا في الفراغ اذ يعيش وينمو في مجتمع يؤثر فيه ويتأثر به ، ويأخذ منه ويعطيه مجتمع فيه الأقوياء والضعفاء ، والاخيار والأشرار ، والأغنيــاء والفقراء ، مجتمع يعارض فيه مصالــح بعض افراد مصالح بعضهم الآخر ، وتصطدم هذه المصالح الخاصة في احوال كثيرة مع المصلحة العامة ، ولا بد لنظام كوني ذي نظرة شاملة الى الوجود من ان ينظم هذا المجتمع على النحو الذي يحمي ضعفاؤه من اقويائه • ويؤمن اخياره من شريريه ، ويعدل بين اغنيائه وفقرائه ويرسم للافراد حدودا يقفون عندها في ممارستهم لحرياتهم الشخصية ، وللمجتمع حدودا لا يتعداها في تقييــده لحريات الافراد وقد اشتمل الاسلام على كل هذا ، فلم يدع المجتمع للاهواء تتحكم في تركيبه ، وللنزعات تتقاذف اجزاؤه ، بل اشتمل على نظام للاجتماع فصل فيه الحدود التي تنتهي عندها حرية الفرد ، والحدود التي تبتدىء بها مسؤولية المجتمع وفصل فيه دور الفرد في الاسرة • ودور الاسرة في المجتمع، وواجبات كل من الفرد والاسرة والمجتمع وحقوقه ، واشتمل على نظــام للاقتصاد يكفل توزيع الثروة العامة بالعدل ، وبحيث تباح لجميع فئاتــه ان تنعم بمستويات من العيش متقاربة لا تتسع فيما بينها المسافات التـي تحمل على ان يحل الصراع ــ بدل التعاون ــ بين الطبقات ، واشتمل على نظام في القضاء يتمتع بمستوى من الاستقلال والنزاهة لا يحاربه فيه نظام ــ واشتمل على نظام في السياسة نعرف منه كيف يكون العمل السياسي خدمة

وعطاء وعملا من أجل الشعب ، بدل ان تكون تجبرا ، ولصوصية ، واستغلالا للشعب ، وكان واقعيا في كل ما اشتمل عليه من نظم ، فلم يضحِ في سبيل مثل عليا طوبائية بالمصالح الاجتماعية الواقعية .

والانسان ــ باعتباره فردا في مجتمع ــ موضوع جذب ودفع بين نظريتين في الاجتماع متضادتين كانتا ــ ولا تزالان ــ تتصارعان بغية الغلبة على المجتمعات الانسانية . نظرية تنادي بان المجتمع هو الحقيقة النهائية المطلقة ، وترى ان على الفرد ان يفنى في المجتمع ، وتنكر ان يكون للفرد أي دور قيادي في المجتمع فتهمل الفرد ، ولا تأبه لهمومه ومطامحه وحاجاته الخاصة ، وتمثل هذه النظرية في العصر الحديث الفاشية والنازية والماركسية . ونظرية أخرى تنادي بأن الفرد هو الحقيقة النهائية المطلقة ، وما على المجتمع الا ان يهيء جميع فرص النمو والازدهار للفرد ، وان حطم ذلك مصالح المجتمع ، لأن جميع المظاهر الاجتماعية والقيم السياسية لم تخلق الا للاسهام في ازدهار الفرد ازدهارا كاملا ، ويمثل هذه النظرية مبدأ الليبرالية الاحرارية ، والفوضوية .

اما الاسلام فلم يتبنى هذا الاتجاه ولا ذاك ، لأن كلا منهما يأخذ جانبا من الحقيقة الواقعية ويهمل جانبها الآخر ، فيتردى في الضلال . الانسان كائن ذو رغائب ، ومطامح ، وقدرة على الابداع ، والانسان عضو في مجتمع يكسب منه ويعطيه ، ويفيده من ذاته ، ويستفيد منه ، هذا هو الواقع الموضوعي الذي يفرض نفسه بالحاح . والنظام الشامل اما ان يهمل أحد وجهي هذا الواقع ويعني بالآخر فيدخل في العبث ، لأن النظام وجد من أجل الانسان ولم يوجد الانسان من أجل النظام ، واما ان ينكر احد وجهي الواقع ويعترف بالآخر فيدخل في الخرافة التي تنكر الواقع وتنطلق في سماوات التجريد ، واما ان يعترف بكل وجهي الواقع فيكون نظاما انسانيا ، لأنه النظام الذي يهيء للانسان فرص الازدهار

في نطاق ذاته وفي نطاق المجتمع ، وهذا هو ما صنعه الاسلام فقد وازن بين الانسان فردا والانسان عضوا في المجتمع وهيأ لكل منهما مجالا من الحرية يتيح له ان ينمو وان يكون عامل ازدهار للاخر .

وكما اشتمل على نظم تنسق مختلف وجوه النشاط الانساني لمعتنقيه على الصعيد الفردي والاجتماعي ، اشتمل ايضا على نظام للسلام والحرب حدد فيه موقف معتنقيه من سائر المجموعات الانسانية التي اتخذت لنفسها في الحياة دينا غير الاسلام . فلم يجعل من معتنقيه امة ذات روح عدوانية تهدد حريات الشعوب الأخرى وامنها ، كما لم يجعل منهم امة لا كيان لها ولا شخصية ، يستطيع كل فاتح ان يستذلها ويسومها الخسف ، بل حرم على المسلمين كل لون من ألوان العدوان ، وأقام بعد ذلك ـ علاقة المسلمين بسواهم على اساس ان كل جماعة بشرية تريد الاتصال بالمسلمين من أجل التعاون معهم على الحق والخير والعدل فعلى المسلمين من اجل التعاون معهم على الحق والعدل فعلى المسلمين ان يسهموا معها مهما استطاعوا في نشر ألوية الحق والخير والعدل ، وان كل جماعة بشرية تريد الاتصال بالمسلمين لتسترقهم على الصعيد السياسي ، والاقتصادي او الثقافي ، او عليها جميعا ، فعلى المسلمين الا يقابلوا هذه الجماعة بذرة واحدة من التسامح بل عليهم ان يحاربوا هذا العدوان في جميع الميادين وبكل ما يقدرون عليه من أموال وأنفس وعتاد » (١) .

هذا هو فكر الاسلام وهذه هي آراؤه في الروح والعقل والعلاقات الاجتماعية .. والفكر مفرد من مفردات الشخصية الاسلامية .. وعنصر أساسي من عناصر التشكيل ..

انظر الى قول الله تعالى في التفكير :

---

(١) ابو ابراهيم ـ مجلة الاضواء العدد الرابع ، السنة الاولى ـ النجف .

(ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا) سورة سبأ : ٤٦ . **(قـل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون)** الانعام : ٥٠ . **(او لم يتفكروا**
النحل : ٦٩ .
في انفسهم) الروم : ٨ . **(فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقـوم يتفكرون)**

هنا العبادة والتفكير في اطار واحد •• لا عبادة بدون تفكير •• ولا تفكير بدون عبادة •• في التفكير يستشف الانسان حلاوة الايمان ، وفي الايمـان يستشف الانسان حلاوة الاتصال بالله تعالى ولا تترجم مفردات الايمان الا بالعبادة •

والتفكير هي المحطة النهائية المؤقتة لكل تجربة يخوضها الانسان، وهي المحطة التي يسترجع فيها الضمير حساباته السابقة مع نفسه ، ومع الناس ومع الله •• والتفكير اداة التطور وعنصر الحضارة •• وبالتفكير يستطيع الانسان ان يتجاوز اخطاء الحاضر ويتخطى مساوىء الماضي ويرسم في ذهنه صورة المستقبل ••

الشخصية الاسلامية •• شخصية مفكرة •• عاقلة •• مدركة ؛ تمتلك الوعي وتمتلك الايمان •• وتمتلك القابلية على العطاء الفكري بخصوبـة وباخلاص •• وتمتلك القدرة على استنباط معطيات الواقع وتحليله ووضع مفردات هذا الواقع كل في زاويته وموضعه •• وقادرة على استقراء صيغ الحاضر وعبر الماضي وتطلعات المستقبل •• وهي ليست مغلقة الذهن •• لأن انغلاق الذهن معناه شلل نصفي يصيب الانسان المسلم ••

فالفكر والروحية نصفان يكمل احدهما الآخر •• فبالفكر نستطيـع استكشاف معاني الايمان بالله •• وبالروحية نستطيع مد حبل الايمان الى الخالق العظيم الذي خلق وانزل كل شيء بقدر ••

٢ ـ العاطفـة :

العاطفة نزعة مكتسبة عن تجارب انسانية •• وهي شعور انساني مركز

نحو شيء ما •• قد يكون حيا بطبيعته المادية او بذكراه ••

والعاطفة في الاسلام مفرد من مفردات الشخصية •• وتوجيه العاطفة نحو هدف ما عمل كبير في حياة الشخص •• فالعاطفة الهادفة تجعل الانسان وهو في اسمى حالاته العاطفية انسانا يمتلك زمام نفسه ، ويمتلك رباط جأشه •• وهذا ما سعى اليه الاسلام ••

فعاطفة المسلم مرهونة بذرات تفكيره •• ومنسجمة بانسياب مع شفافية روحه الصاعدة بشوق الى السماء •• تلك العاطفة التي تجعله وهو في أزكى لحظات الخشوع عينا تفيض بالدمع •• وقلبا يفيض بالحنان والرهبة ولسانا يفيض بالشكر والثناء لخالق الأرض ورافع السماء •• تلك العاطفة التي جعلت من عبادة الله سلوى وتضرع وخشوع ••

« الم يان الذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » الحديد ــ ١٧ .

(الم يان لهؤلاء الذين اضاء الايمان عقولهم ، وتمكنت العقيدة من نفوسهم ، وتبين لهم الحق متجسدا في اشرف رسالات السماء ، ان يفجر هذا الايمان في نفوسهم موجا من العاطفة ، ويشيع فيها انفعالا خاصا يتفق مع طبيعة ذلك الايمان وجوهره ، حتى تمتلىء قلوبهم بالخشوع للحق والانقياد له والانصياع الى اوامره ونواهيه) .

بهذا يعلن الاسلام عن ضرورة ازدواج الفكر والعاطفة ، واجتماع العقيدة وما تتطلبه من ألوان الانفعال والاحساس ، حتى تدب الحياة في العقيدة وتصبح مصدر حركة وقوة دفع وليست مجرد فكرة عقلية لا يخفق ولا يستجيب لها الحس ولا تتدفق بالحياة .

وهذه هي السياسة العامة للدعوة الاسلامية ، فهي دعوة فكر وعاطفة او بالاحرى دعوة الى عقيدة بكل ما تتطلبه من مفاهيم وعواطف ، وليست دعوة فكرية خالصة تستهدف تطوير العقيدة طبقا لها ، وتقف عند هذا الحد ، كالمذاهب الفلسفية المجردة ، كما انها ليست في مستوى الدعوات العاطفية المنخفضة التي تستغل العاطفة فحسب وتعني بتربيتها دون ان

تقوم على أسس فكرية خاصة بل للدعوة الاسلامية طريقتها الخاصة في مزج الفكرة بالعاطفة ، وتفجير العواطف على اساس فكري ، وبذلك تبقى محتفظة بالطابع الفكري بالرغم من اهتمامها بالجانب العاطفي وتنميته في الشخصية الاسلامية . لأنها تستوحي كل عاطفة من مفهوم معين من مفاهيمها عن الحياة والكون والانسان .

فالعواطف الاسلامية دائماً نتيجة المفاهيم والافكار الاسلامية وانعكاسات انفعالية لها . ولهذا نجد ان الاسلام يهيء كل عقيدة من عقائده وكل مفهوم من مفاهيمه ليكون ينبوعا لعاطفة خاصة تنسجم مع ذلك المفهوم او تلك العقيدة ، وتتفق واياهما ، كما وجدنا في الآية الكريمة كيف ربط بين الايمان بالشريعة الحقة والخشوع لها . هذا الخشوع الذي هو لون من الانفعال العاطفي يتطلبه ذلك الايمان ويصبح بدونه مجردا عن أية فعالية ايجابية .

والسبب في هذا الربط بين المفاهيم والعواطف في الاسلام واضح كل الوضوح ، لأن الاسلام لا يريد المفاهيم والأفكار بمعزل عن العمل والتطبيق ، وانما يريدها قوى دافعة لبناء حياة كاملة في اطارها وضمن حدودها ، ومن الواضح ان الافكار والمفاهيم لا تصبح كذلك الا حين تتخذ اشكالا عاطفية وحين تخلق الانفعالات التي تناسبها والعواطف التي تساندها ، لتتخذ هذه العواطف موقفا ايجابيا في توجيه الحياة العملية والسلوك العام فمفهوم المساواة — مثلا — الذي هو من اهم المفاهيم التي بشر بها الاسلام ، لا يمكن ان يثمر في الحقل العملي الثمر المطلوب ما لم تنبثق من هذا المفهوم عاطفة كعاطفة الاخوة العامة التي عمل الاسلام لايجادها في نفس المسلم وربطها بمفهومه الخاص عن المساواة ، ليصاغ المفهوم في شعور عاطفي دفاق قادر على الحركة والتوجيه طبقاً لمتطلبات المفهوم !

وعلى ضوء ذلك نستطيع ان نرتب ما يلي :

اولا : ان العقيدة الاسلامية كما يجب ان تكـون قاعدة فكريـة للشخصية الاسلامية وحجر الزاوية في تفكيرنا ومفاهيمنا ، كذلك يجب ان تكون قاعدة للعواطف التي تنشأ عليها الشخصية الاسلامية ، وتنمى فيها بمختلف الوسائل والاساليب ، لأن العواطف التي يرتضيها الاسلام للمسلم هي العواطف الفكرية التي ترتكز على مفاهيم فكرية معينة •

وحيث ان الاسلام هو القاعدة الاساسية للمفاهيم الفكريـة التي تتكون منها العقلية الاسلامية ، كان من نتيجة ذلك طبيعيا ان يكون هو القاعدة والينبوع الأساسي لأعمق العواطف التي تتكون منها النفسيـة الاسلامية ، وبمقدار ما تكون الرسالة اكثـر عمقا وتركزا في موضعهـا الرئيسي من عواطف المسلم ترتفع شخصيته النفسية ، ويكتمل طابعـه الاسلامي ، كما ترتفع شخصيته الفكرية ويكتمل طابعه الاسلامي بمقدار وجود القاعدة الاسلامية وتمركزها فيها •

وقد عبر القرآن الكريم تعبيرا رائعا عن العقيدة الاسلامية بصفتها الينبوع الأساسي لأعمق العواطف في النفسية الاسلامية ، اذ قال :

(قل ان كان آباؤكم ، وابناؤكم ، واخوانكم ، وازواجكم ، وعشيرتكم، واموال اقترفتموها • وتجارة تخشون كسادها ، ومسـاكن ترضونها ، احب اليكم من الله ورسوله ، وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى ياتي الله بامره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين) •

فالعقيدة الاسلامية بالله الرحمن الرحيم العلي القدير ينبغي ان تكون في نظر الاسلام ينبوعا لأعمق العواطف في نفس المسلم ، لعاطفة الحب العميق لله ولرسوله ولرسالته التي تسمو على كل عاطفة ، وتهون في سبيلها كل العلائق ، علائق الأبوة ، والبنوة ، والأخوة ، والزوجية ، والعشيرة، وعلائق المال ، والتجارة ، والسكن ، ويقوم على اساسها التقدير العاطفي لكل موقف ولكل واقع •

ثانيا : ان الطريقة العامة للاسلام لما كانت قائمة على مزج الفكرة بالعاطفة جاز للدعوة الاسلامية ان تمزج الفكـرة بالعاطفة في دعوتهـا ووسائلها ، وان تعتبر العواطف الموجودة في المجتمع التي تساعدها على انجاح سياستها ، من القوى التي تملكها في سبيل الدعوة ، ولكن شريطة ان يتوفر في تلك العواطف الطابع الاسلامي ، بأن تكون قائمة على مفاهيم فكرية معينة تتفق ووجهة نظر الاسلام العامة .

واما العواطف السطحية المائعة التي لا تستند الى مفهوم ، والتي يثيرها الاحساس اكثر مما يثيرها الفكر ، فليس من الصحيح للدعوة ان ترتكز على هذه العواطف ؛ لأن انتشار هذه العواطف المنخفضة يؤدي الى سيطرتها في المجتمع وهذا يشكل خطرا على الدعوات الفكرية التي تحاول الارتفاع بذهنية الامة الى المستوى الفكري ، والتسامي بها عن المشاعر المرتجلة والأحاسيس الساذجة .

وأكثر من تلك العواطف السطحية خطرا ، العواطف التي تستمد جذورها النفسية من مفاهيم فكرية تتعارض مع مفاهيم الدعوة . وان امكن للدعوة ان تجند تلك العواطف في سبيل الوصول الى هدف معين وتحطيم قوة معارضة في الميدان ، او ان تستخدمها وتستثمرها الى فترة معينة ، كما تفعل بعض الدعوات التي تتستر في كثير من مراحلها بواجهات تستهوي عواطف الناس بالرغم من مناقضة مفاهيمها لتلك العواطف ، فهي لا تنظر اليها الا كممر الى هدفها الاصيل ، ولا تبالي في سبيل ذلك بنوعية العواطف التي تستخدمها ، ولا بجذورها الفكرية مع المجتمع . ان دعوة فكرية كالدعوة الاسلامية التي تستهدف قبل كل شيء امتلاك واقع الأمة العقلي والنفسي وصبه في قالبها الفكري والعاطفي ، لا يمكنها بحـال من الاحوال ان تنتهز العواطف التي تقوم على غير مفاهيمها وتستغل تلك

العواطف في سبيل مصلحتها فتواكبها الى نصف الطريق لأن في مواكبتها مساندة للواقع الفاسد الذي لم تقم الدعوة الا لتغييره وقلبه •

وعلى هذا فالسياسة العامة للدعوة الاسلامية تجاه العواطف الموجودة في الامة هي استثمار ما كان منها اسلاميا لحساب الرسالة وللدفع بها الى الامام في معركتها مع الكفر القائمة في كل مكان ، والتعالي بالامة عن العواطف المنخفضة وكنس ما يوجد لديها من عواطف ذات طابع فكري معارض للاسلام ، وتبديلها بعواطف صحيحة تدور في فلك الرسالة الاسلامية • وبكلمة واحدة ان الدعوة تحاول ان تربط دائما بين المفاهيم والعواطف وتفجر في نفسية الامة العواطف التي يتوخاها الاسلام من تلك المفاهيم •

ويقاس مقدار نجاحها في الحقل الفكري بمدى تغلغل مفاهيمها في فكر آلامة ، وفي المجال النفسي بمدى انسجام عواطف الامة مع تلك المفاهيم ، وبمقدار ما يولد الايمان بالرسالة من عاطفة الحب لها والمفاداة في سبيلها والخشوع لها خشوعا ينعكس في كل قول وعمل •

(ألم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ، وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل ، فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون) (١) •

ان العاطفة الاسلامية تعبير شعوري عن مفهوم اقره الاسلام ، واوجب العمل به •• والعاطفة في الاسلام هادفة بمعنى ان الانسان المسلم هادف بفكره وعاطفته وروحه •• يسعى الى تحطيم كل الكيانات الساعية لتذليل الانسان وتركيعه لغير خالق الانسان ••

يقول شاعر الاسلام الدكتور محمد اقبال في العاطفة :

---

(١) رسالتنا ــ جماعة العلماء في النجف الاشرف (موضوع الرسالة قاعدة للعاطفة) •

« لا بد لادراك الحقيقة من الادراك الداخلي الذي يسميه (القرآن) القلب ، وليس القلب والعقل متناكرين ، وليس الفكر والالهام متنافرين، فالدين لا يقنع بالتصور المجرد ، بل يطلب اتصالا بمقصوده ووسيلة ذلك (العبارة) والصلاة وسيلة استنارة روحية تعرف بها الذات الانسانية انها موصولة بحياة اوسع ، وكل طلب للمعرفة هو في حقيقته صلاة ، فالباحث في العلم الطبيعي هو كالصوفي في صلاته ، وتزيد قربا من مقصودها بالاجتماع ، والعبادة (فردية او جماعية) هي اعراب عن تلهف الوجدان الانساني استجابة في صمت الكون الهائل » .

ان امتزاج العاطفة بالفكر في الشخصية الاسلامية ، يجعل لهذه الشخصية المقدرة على امتلاك البعد الحضاري ، لانها شخصية نابعة من معاناة الفكر وطموح العاطفة ..

٣ ـ الروحية :

ان الانسان المؤمن بالله يمتلك شعورا غريبا يجعله يقترب أكثر فأكثر من سر الوجود ، كلما قام الليل او تفكر في خلق السموات والارض .. وقد عبر (القرآن) عن هذا الشعور بالخشوع وعن القلوب التي تعيش هذا الشعور بالقلوب الوجلة

(انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ※ الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون ※ اولئك المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) الانفال : ٢ ـ ٥ .

والروحية الشفافة هو ذلك التصعيد الانساني المتسامي للنفس .. وتلك الارتعاشة الوجدانية التي تعقب كل صلاة وعلم وعمل لله ..

انظر الى هذه المناجاة الصوفية ولاحظ كيف تعمل عملها في رفع روحية الانسان :

(آلهي كلما اخرسني لؤمي انطقني كرمك .. وكلما آيستني اوصافي اطمعتني منتك . من كانت محاسنه مساويء .. فكيف لا تكون مساويه مساويء .. ومن كانت حقائقه دعاوى فكيف لا تكون دعاويه دعاوى ؟

آلهي كلما يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك .. حتى يكون المظاهر لك ؟ متى غبت حتى تحتاج الى دليل عليك ؟ ومتى بعدت حتى تكون الاثار هي التي توصل اليك آلهي امرت بالرجوع الى الآثار فارجعني اليها بالانوار ، وهداية الاستبصار حتى ارجع اليك منها كما دخلت اليك مصون السر عن النظر اليها مرفوع الهامة عن الاعتماد عليها ، انك على كل شيء قدير) .

ان التصعيد السلمي للروح يتم بذكر الله والكون صامت والناس نيام .. لأن مناجاة الله في بحر الكون الهائل ، امتثال امام الخالق وكشف حساب وغفران ذنوب ..

(ومن الليل فتهجد به نافلة لكعسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) الاسراء ـ ٧٩ .

لنقرأ معا دعاء الامام السجاد (ع) ونرى أثره في تصعيد الروحية البشرية :

(يا من ذكره شرف للذاكرين ، ويا من شكره فوز للشاكرين ، ويا من طاعته نجاة للمطيعين ، صل على محمد وآله ، واشغل قلوبنا بذكرك عن كل ذكر والسنتنا بشكرك عن كل شكر ، وجوارحنا بطاعتك عن كل طاعة) .

٤ ـ الهدف :

الشخصية الاسلامية تمتلك الهدف .. والهدف في المفهوم الاسلامي ليس غاية الغايات .. لأن غاية الغايات هو الفوز برضاء الله وهو غاية وليس هدفا .. والهدف هو جسر للغاية .. به نعبر من صحراء الارض الى جنة السماء .. والشخصية الاسلامية هادفة غايتها الفوز برضى الله تعالى .. والهدف هنا هو تحقيق خلافة الله في الارض وتحقيق ارساء مفردات الدولة الاسلامية والمجتمع المسلم .. والغاية هي الرضا المطلق

في الزمن المطلق لخالق الوجود المطلق ..

ان نظرة الانسان المسلم الى السماء قبل الأرض قد اعطت هـذا الانســان مقاييس اخلاقية لبناء الأرض وتعمير النفوس .. نلاحظ ان أروع ما كتب في هذا الموضوع هو قلم العلامة الجليل السيد محمـد باقر الصدر في مقدمة كتابه (اقتصادنا) .. وبالرغم من ان منحى المؤلف الكبير كان اقتصاديا لكننا نستشف من رأيه دور الانسان المسلـم في الأرض وهدفه في اقامة دولــة الحق .. وهو يقارن بين هذا الانسان والانسان الاوربي الذي استطاع استنزال آله المسيحيــة الى الأرض وتجسيده في كائن ارضي . والمؤلف فوق هذا وذاك يعطي لنا برنامجا محددا واضح المعالم للشخصيــة الاسلامية .. يقول السيد الصدر في مقدمة كتابه :

« ان الانسان الاوربي ينظر الى الارض دائما لا الى السماء وحتى المسيحية بوصفها الدين الذي آمن به هذا الانسان مئات السنين لـم تستطع ان تتغلب على النزعة الارضية في الانسان الاوربي بل بدلا عن ان ترفع نظره الى السماء استطاع هو ان يستنزل إله المسيحية من السماء الى الأرض ويجسده في كائنأرضي .

وليست المحاولات العلمية للتفتيش عن نسب الانسان في فصائـل الحيوان وتفسير انسانيته على اساس التكييــف الموضوعي من الارض والبيئة التي يعيش فيها او المحاولات العلمية لتفسير الصرح الانساني كله على اساس القوى المنتجة التي تمثل الأرض وما فيها من امكانات ليست هذه المحاولات الا كمحاولة استنزال الاله الى الارض في مدلولها النفسي وارتباطها الاخلاقي بتلك النظرة العميقة في نفس الانسان الاوربي الى الارض وان اختلفت تلك المحاولات في أساليبها وطابعهـا العلمي أو الاسطوري .

وهذه النظرة الى الأرض أتاحت للانسان الاوربي ان ينشيء قيما للمادة والثروة والتملك تنسجم مع تلك النظرة .

وقد استطاعت هذه القيم التي ترسخت عبر الزمن في الانسان الاوربي ان تعبر عن نفسها في مذاهب اللذة والمنفعة التي اكتسحت التفكير الفلسفي الاخلاقي في اوربا فان لهذه المذاهب ، بوصفها تناجاً فكريا اوروبيا سجل نجاحاً كبيرا على الصعيد الفكري الاوروبي ، لها مغزاها النفسي ودلالتها على المزاج العام للنفس الاوروبية .

وقد لعبت هذه التقييمات الخاصة للمادة والثروة والتملك دورا كبيرا في تفجير الطاقات المختزنة في كل فرد من الامة ووضع اهداف لعملية التنمية تنفق مع تلك التقيمات . وهكذا أسرت في كل أوصال الامة حركة دائبة نشيطة مع مطلع الاقتصاد الاوروبي الحديث لا تعرف الملل او الارتواء من المادة وخيراتها وتملك تلك الخيرات .

كما ان انقطاع الصلة الحقيقية للانسان الاوروبي بالله تعالى ونظرته الى الارض بدلا عن النظرة الى السماء انتزع من ذهنه أي فكرة حقيقية عن قيمومة رفيعة من جهة أعلى او تحديدات تفرض عليه من خارج نطاق ذاته وهيأه ذلك نفسيا وفكريا للايمان بحقه في الحرية وغمره بفيض من الشعور بالاستقلال والفردية الامر الذي استطاعت بعد هذا ان تترجمه الى اللغة الفلسفية او تعبر عنه على الصعيد الفلسفي فلسفة كبرى في تاريخ اوروبا الحديثة وهي الوجودية اذ توجت تلك المشاعر التي غمرت الانسان الاوروبي الحديث بالصيغة الفلسفية فوجد فيها انسان اوروبا الحديث آماله وأحاسيسه .

وقد قامت الحرية بدور رئيسي في الاقتصاد الاوروبي وأمكن لعملية التنمية ان تستفيد من الشعور الراسخ لدى الانسان الاوروبي

بالحرية والاستقلال والفردية في نجاح الاقتصاد الحر بوصفه وسيلة تتفق مع الميول الراسخة في نفوس الشعوب الاوروبية وأفكارها وحتى حينما طرح الاقتصاد الأوروبي منهجا اشتراكياً حاول فيه ان ينطلق من الشعور بالفردية والانانية أيضا مع تحويلها من فردية شخص الى فردية طبقية .

وكلنا نعلم ان الشعور العميق بالحرية كان يوفر شرطا أساسيا لكثير من النشاطات التي ساهمت في عملية التنمية وهو انعدام الشعور بالمسؤولية الاخلاقية الذي لم تكن تلك النشاطات لتتم بدونه .

والحرية نفسها كانت اداة لانفتاح الانسان الاوروبي على مفهوم الصراع لأنها جعلت لكل انسان ان ينطلق دون ان يحده في انطلاقه شيء سوى وجود الشخص الآخر الذي يقف في الطرف المقابل كمحدد له فكان كل فرد يشكل بوجوده النفي لحرية الشخص الآخر .

وهذا نشأت فكرة الصراع في ذهن الانسان الاوروبي وقد عبرت هذه الفكرة عن نفسها على الصعيد الفلسفي كما رأينا في سائر الأفكار الأساسية التي كونت مزاج الحضارة الغربية الحديثة . عبرت هذه الفكرة ــ فكرة الصراع ــ عن نفسها في الأفكار العلمية والفلسفية عن تنازع البقاء كقانون طبيعي بين الاحياء او عن حتمية الصراع الطبقي داخل المجتمع او عن الديالكتيك وتفسير الكون على اساس الاطروحة ونقيضها والمركب الناجم عن الصراع بين النقيضين . ان كل هذه الاتجاهات ذات الطابع العلمي او الفلسفي هي قبل كل شيء تعبير عن واقع نفسي عام وشعور حاد لدى انسان الحضارة الحديثة بالصراع .

هذه هي اخلاقية الاقتصاد الاوروبي وعلى هذه الارضية استطاع هذا الاقتصاد ان يبدأ حركته ويحقق نموه ويسجل مكاسبه الضخمة .

وهذه الاخلاقية تختلف عن الاخلاقية التي تعيشها الامة داخل العالم الاسلامي نتيجة لتاريخها الديني فالانسان الشرقي الذي ربته رسالات السماء وعاشت في بلاده ومر بتربية دينية مديدة على يد الاسلام ينظر بطبيعته الى السماء قبل ان ينظر الى الأرض ويؤخذ بعالم الغيب قبل ان يؤخذ بالمادة والمحسوس •

وافتتانه العميق بعالم الغيب قبل عالم الشهادة هو الذي يعبر عن نفسه على المستوى الفكري في حياة المسلمين باتجاه الفكر في العالم الاسلامي الى المناحي العقلية من المعرفة البشرية دون المناحي التي ترتبط بالواقع المحسوس •

وهذه الغيبية العميقة في مزاج الانسان المسلم حددت من قوة اغراء المادة للانسان المسلم وقابليتها لاثارته الامر الذي يتجه بالانسان في العالم الاسلامي حين يتجرد عن دوافع معنوية للتفاعل مع المادة واغرائه باستثمارها الى موقف سلبي تجاهها يتخذ شكل الزهد تارة والقناعة أخرى والكسل ثالثة •

وقد روضته هذه الغيبية على الشعور برقابة غير منظورة قد تعبر في وعي المسلم التقي عن مسؤولية صريحة بين يدي الله تعالى وقد تعبر في ذهن مسلم آخر عن ضمير محدد وموجه وهي على أي حال تبتعد بانسان العالم الاسلامي عن الاحساس بالحرية الشخصية والحرية الاخلاقية بالطريقة التي أحس بها الانسان الاوروبي •

ونتيجة لشعور الانسان المسلم بتحديد داخلي يقوم على أساس أخلاقي لصالح الجماعة التي يعيش ضمنها يحس بارتباط عميق بالجماعة التي ينتسب اليها وانسجام بينه وبينها بدلا عن فكرة الصراع التي سيطرت على الفكر الاوربي الحديث ••

وقد عزز فكرة الجماعة لدى الانسان المسلم الاطار العالمي لرسالة الاسلام الذي ينيط بحملة هذه الرسالة مسؤولية وجودها عالميا وامتدادها مع الزمان والمكان فان تفاعل انسان العالم الاسلامي على مر التاريخ مع رسالة عالمية منفتحة على الجماعة البشرية يرسخ في نفسه الشعور بالعالمية والارتباط بالجماعة ٠

وهذه الاخلاقية التي يعيشها انسان العالم الاسلامي اذا لاحظناها بوصفها حقيقة ماثلة في كيان الامة يمكن الاستفادة منها في المنهجة للاقتصاد داخل العالم الاسلامي ووضعه في اطار يواكب تلك الاخلاقية لكي تصبح قوة دفع وتحريك كما كانت اخلاقية مناهج الاقتصاد الاوروبي الحديث عاملا كبيرا في انجاح تلك المناهج لما بينها من انسجام ٠

فنظرة انسان العالم الاسلامي الى السماء قبل الارض يمكن ان تؤدي الى موقف سلبي تجاه الارض وما في الارض من ثروات وخيرات يتمثل في الزهد او القناعة او الكسل اذا فصلت عن السماء واما اذا ألبست الأرض اطار السماء واعطي العمل مع الطبيعة صفة الواجب ومفهوم العبادة فسوف تتحول تلك النظرة الغيبية لدى الانسان المسلم الى طاقة محركة وقوة دفع نحو المساهمة باكبر قدر ممكن في رفع المستوى الاقتصادي ٠ وبدلا عما يحسه اليوم المسلم السلبي من برود تجاه الارض او ما يحسه المسلم النشيط الذي يتحرك وفق أساليب الاقتصاد الحر او الاشتراكي من قلق نفسي في اكثر الاحيان ولو كان مسلما متميعا سوف يولد انسجام كامل بين نفسية انسان العالم الاسلامي ودوره الايجابي المرتقب في عملية التنمية ٠

ومفهوم انسان العالم الاسلامي عن التحديد الداخلي والرقابة

الغيبية الذي يجعله لا يعيش فكرة الحرية بالطريقة الاوروبية يمكن ان يساعد الى درجة كبيرة في تفادي الصعاب التي تنجم عن الاقتصاد الحر والمشاكل التي تواجهها التنمية الاقتصادية في ظله عن تخطيط عام يستمد مشروعيته في ذهن انسان العالم الاسلامي من مفهومه عن التحديد الداخلي والرقابة غير المنظورة أي يستند الى مبررات اخلاقية .

والاحساس بالجماعة والارتباط بها يمكن ان يساهم الى جانب ما تقدم في تعبئة طاقات الامة الاسلامية للمعركة ضد التخلف اذا اعطي للمعركة شعار يلتقي مع ذلك الاحساس كشعار الجهاد في سبيل الحفاظ على كيان الامة وبقائها الذي اعطاه القرآن الكريم حين قال

(واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) .

فأمر باعداد كل القوى بما فيها القوى الاقتصادية التي يمثلها مستوى الانتاج باعتباره جزءاً من معركة الامة وجهادها للاحتفاظ بوجودها وسيادتها .

ان اتجاه انسان العالم الاسلامي الى السماء لا يعني بمدلول الاصيل استسلام الانسان للقدر واتكاله على الظروف والفرص وشعوره بالعجز الكامل عن الخلق والابداع كما حاول ذلك جاك اوستروى بل ان هذا الاتجاه لدى الانسان المسلم يعبر في الحقيقة عن مبدأ خلافة الانسان في الارض فهو يميل بطبيعته الى ادراك موقفه في الأرض باعتباره خليفة لله . ولا اعرف مفهوما اغنى من مفهوم الخلافة لله في التأكيد على قدرة الانسان وطاقاته التي تجعل منه خليفة السيد المطلق في الكون كما لا اعرف مفهوما أبعد من مفهوم الخلافة لله عن الاستسلام للقدر والظروف لأن الخلافة تستبطن معنى المسؤولية تجاه ما يستخلف عليه ولا مسؤولية بدون حرية وشعور بالاختيار والتمكن من التحكم

في الظروف والا فأي استخلاف هذا اذا كان الانسان مقيدا او مسيرا ولهذا قلنا ان الباس الأرض اطار السماء يفجر في الانسان المسلم طاقاته ويثير امكاناته بينما قطع الارض عن السماء يعطل في الخلافة معناها ويجمد نظرة الانسان المسلم الى الأرض في صيغة سلبية فالسلبية لا تنبع عن طبيعة نظرة انسان العالم الاسلامي الى السماء بل عن تعطيل قوى التحريك الهائلة في هذه النظرة بتقديم الأرض الى هذا الانسان في اطار لا ينسجم مع تلك النظرة » [1] .

٥ ـ الجسد :

ان الجسد في الاسلام له حق وعليه مسؤوليات .. وبالجسد يستطيع الانسان تنفيذ أوامر السماء .. ولا يستطيع الجسد وحده القيام باعباء الدعوة الى الله ، لأنه لا يتعدى كونه مفردا من مفردات الشخصية الاسلامية ولا يشكل ضموره أي تهديد للشخصية ..

ويثير القرآن الكريم الى الجسد في معرض حديثه عن (طالوت) فيقول :

(ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم ، والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم) البقرة ـ ٢٤٧ .

٦ ـ القيادة والحركية والايجابية :

الشخصية الاسلامية تمتلك مقومات القيادة .. لأن هذه المقومات ليست مفروضة من الخارج ، انما هي مقومات ذاتية تنبع من الاحساس الجسيم بالمسؤولية الملقاة على الانسان .. والقيادة تعني امتلاك

---

(1) اقتصادنا ـ السيد محمد باقر الصدر ـ الطبعة الرابعة ١٩٧٣ دار الفكر ـ بيروت ص ٥ .

الانسان زمام نفسه والقدرة على توجيه الآخرين وقدرته على التصرف في اللحظات التي تستدعي حزما وقوة وسعة تفكير وبعد نظر •• واذا ما توفر عنصر القيادة في الشخصية فسرعان ما يتنامى عنصر الحركية والايجابية •• واذا ما اقتربت زوايا هذا المثلث ، القيادة ، الحركية ، الايجابية •• ازدادت فرص اكتمال البناء في النفس ••

٧ ـ التقـوى :

وهو بناء الحاجز الحديدي بين النفس والمعصيات وتوجيه النفس والعقل توجيها خالصا لله سبحانه وتعالى •• وهي مفرد مهم من مفردات الشخصية الاسلامية وبها يصبح البناء جاهزا وعامرا ••

يقول الامام علي (ع) في وصفه المتقين :

(منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع ، غضـوا ابصارهم عما حرم الله عليهم ووقفوا اسماعهم على العلم النافع لهم ، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كما نزلت في الرخاء ، ولولا الاجل الذي كتب عليهم لم تستقر ارواحهم في اجسادهم طرفة عين .

لا يرضون من اعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير ، فهم لانفسهـم متهمون ، ومن اعمالهم مشفقون ، اذا زكي احدهم خاف مما يقـال له ، فيقول : انا اعلم من غيري ، وربي اعلم بي مني بنفسي . اللهم لا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني افضل مما يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون :

فمن علامة احدهم : انك ترى له حزمـا في لين ، وايمانـا في يقين ، وقصدا في غنى ، وخشوعا في عبادة ، وتجملا في فاقة ، وصبرا في شدة ، ونشاطا في هدى وتحرجـا في طمع . يمزج الحلم بالعلم والقـول بالعمل . الخير منه مامول ، والشر منه مامون . يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه ، بعيدا فحشه لينا قوله حاضرا معروفه ، لا يحيف على من يبغض ولا يأثم في من يحب . يعترف بالحق قبل ان يشهد عليه . لا ينابز بالقاب ولا يضار بالجار ولا يشمت بالمصائب ولا يدخل في الباطل ولا

يخرج من الحق . نفسه منه في عفاء والناس منه في راحة . بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة . ليس تباعده بكبـر وعظمة ولا دنوه بمكر وخدعة) (١) .

ويقول أيضا :

(المؤمن بشره في وجهه ، وحزنه في قلبه ، أوسع شيء صدرا ، واذل شيء نفسا . يكره الرفعة ، ويشنأ السمعة ، طويل غمه ، بعيد همه ، كثير صمته، مشغول وقته، شكور صبور، سهل الخليقة،لين العريكة) (٢) .

(٥)

ان المفردات السبع التي أتينا على ذكرها هي مفردات أساسية في بناء الشخصية الاسلامية ، وبدون توجيهها اسلاميا لا نستطيع دق ركائـز الاسـلام في الانسان ، لان توفرها بالصورة التي عرضناها شرط اساسي من شروط البناء ..

ولعل اجمل ما كتب في الشخصيـة الاسلاميـة مقالتان الفرق بين عمريهما ستة عشر عاما .. المقالة الاولى تتحد عن الموضوع بجديـة وموضوعية فريدة والثانية تتحدث عنه برومانسية فريدة ، واننا انمـا ننقلهما هنا لرأينـا بان القارىء لا بـد وان يستفيد من مواضيع يندر ان تكتب دائما ..

المقالة الاولى : رسالتنا والشخصية الاسلامية [١] ..

---

(١) روائع نهج البلاغة ــ جورج جرداق ــ بيروت ــ ص ١٨٤ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ٣٢ .

(١) مجلـة الاضواء الاسلاميـة عـدد ٢٢ السنـة الاولى . ص ٥٥٦ النجف الاشرف ١٣٨٠ هـ .

يوجد في المثقفين المسلمين مـن يستغرب الحديث عن (شخصيـة اسلامية) ويتساءل عما اذا كانت شخصية للمسلم نابعة من الاسـلام وحده ، شخصية مستقلة فريـدة تستحق ان تكون موضوعـا للبحث والتحليل . وهؤلاء لا يستغربون الحديث عن شخصية عربية ، او ايرانية، او هندية ، ولكنهم يستغربون الحديث عن شخصية اسلامية . وهذا ليس الا مظهرا من مظاهر الوباء العقلي الذي استشرى في شبابنا الناشيء بسبب انقطاع الصلـة الحقيقية بينه وبين الاسـلام ، واقتصاره على الأفكار الغربية في غذائه العقلي .

فان الاسلام عقيدة شاملة ، نظمت حياة الانسان فلم تهمل شأنـا من شؤونه ، ولم تغفل جانبا من جوانبه . وعقيدة لها هذه الاحاطـة وهذا الشمول لا بد وان يطبـع بطابعهـا المعين داخل معتنقهـا ومظاهر سلوكـه ، ولا بـد ان تصوغ وجوده وفقا لمعطياتها الخاصـة . وعلى هذا فمن الغريب ألا تكون شخصية اسلامية مستقلة فريدة .

★ ★ ★

ان الانسان المسلم يعبر عن وجوده الخاص بالتعامل مع الله جل جلاله بما يملك من قدرة روحية ، وبالتفاعل مع الكـون بما يملك من قـدرة عقلية وفكرية ، وبالتفاعل مع المجتمع بما يملك من اخلاق . وهذه العناصر الثلاثة .. الروح والعقل والخلـق ، عناصر أساسيـة في الشخصيـة الاسلامية . ولا يمكن ان توجد شخصية اسلامية خالية عن هذه العناصر او عن بعضها . فلا بد من عقل حي ، متفتح ولا بد من خلق عال نموذجي ولا بد من روح شفاف نظيف لأجل ان توجد الشخصية الانسانيـة النموذجية . وهذا هو ما سعى اليه الاسلام وعني به : صياغة نموذج للانسان يتمتع بهذه القوى : عقل يتفاعل به مع الكون المحيط به ، وخلق يتفاعل به مع المجتمع وروح تصله بالله الخالق الباريء المصور .

ومن الواضح ان هذه القوى الثلاث في شخصية الانسان المسلم ليست متحاجزة ، بل هي متفاعلة فيما بينها ومتكاملة .

والانسان الذي استقر وجوده الخاص على هذه الاسس الثلاثة الكبرى انسان يعبر بسلوكه في الحياة اليومية وتعامله مع الآخرين عن مبادئه الاخلاقية فليس ثمة في وجود هذا الانسان انفصال بين السلوك الواقعي وبين المبادىء كما هو المشاهد في الانسان غير المتكامل . فان الشخصية النابعة من اعتناق عقيدة تحدد الطريق ، وتضع الحلول ، وتدفع الى العمل تجعل لكل شخص انساني وجودا فريدا متميزا لا شريك له فيه ، وتهب له الغنى الداخلي والخصب الباطني ، ومن هنا يكون هو الذي يملك الواقع ويصوغه ، ولا يمتلكه ويستبد به . والانسان المسلم يستطيع ان يكون (شاهدا على الناس) بهذا المعنى : ان الشاهد يجب ان يكون قادرا على الانفصال عن المشهود وعلى مراقبته وترصده ونقده. فلا بد من ان تكون له حدود تعصمه من الانهيار والذوبان الذي يفقده شكله الخاص وقوامه الخاص .



وعاقبة انحلال الشخصية وانعدامها لدى الانسان الفرد هي عدم قدرته على صنع مصيره ، وعجزه عن المساهمة في صنع مصير الآخرين . فان الانسان الفاقد للشخصية مستغرق في العالم الذي حوله مستبعد له ، مملوك للواقع المادي والبشري الذي يحيط به . انه انسان مجروف بالتيار الذي لم يشارك في صياغته .

وعاقبة انحلال الشخصية لدى المجتمع هي عجزه عن ابتداع نموذج حضاري مشتق من مفاهيمه عن الكون والحياة والانسان ، وصيرورته ــ في المجال الحضاري ــ عالة على قوى حضارية غريبة عن روحه ،

فيقتبس منها ما قد يزيده بعدا عن مفاهيمه الخاصة ويزيده عجزا عن تحويلها الى واقع حياتي معاش •

وهذا هو الوضع الذي يعاني منه المسلم المعاصر • فانه فاقد للمقومات الاساسية لشخصيته الخاصة : الشخصية النابعة عن الاسلام ومبادئه ، ومن هنا فهو عاجز ـ في حدود واقعه الحاضر ـ عن ابتداع نموذج اسلامي للحضارة ، وهو من ناحية اخرى مرغم على الاقتباس من النموذج الحضاري السائد في العالم مما قد يزيده بعدا عن الاسلام ، وعجزا عن تحويل مبادىء الاسلام الى واقع حي •

وثمة نتيجة سيئة اخرى لانحلال الشخصية الاسلامية لدى المسلم المعاصر ، تظهر لنا بجلاء اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ان الوجود الاسلامي في العالم ليس محصورا ضمن نطاق جغرافي او عنصري خاص ، وانما هو ممتد في اطر جغرافية وعنصرية كثيرة ، ومن شأن الشخصية الاسلامية لو وجدت انتحدث تيارا فكريا نوعيا يتغلغل في جميع المجتمعات الاسلامية في العالم مما يجعل الوجود الاسلامي ذا مظهر موحد ، متجانس ، فذ ، اما والشخصية الاسلامية غير موجودة فان الحاصل بالفعل هو تيارات فكرية نوعية ، لكل مجتمع اسلامي منها تيار وحده ، وهذا الواقع يخلق بين المجتمعات الاسلامية تحاجزا شعوريا دائميا يجعل ثمة عوالم اسلامية متحاجزة وراء قيود وهمية ، صنعتها بنفسها ولا يعترف بها الاسلام •



هذا وعلى الرغم من تآزر جميع القوى المعادية للاسلام على حربه والنيل منه ، وجدها في تفريق كلمة المسلمين ، وتفتيت وحدتهم ، لا

تزال توجد في مختلف البلاد الاسلامية ذبالة لهذه الشخصية الاسلامية ممثلة في بعض المسلمين الواعين الذين لم تقو الأفكار الدنسة على تلويثهم • وان على العاملين على الصعيد الاسلامي في المجال الفكري ان يجعلوا أكبر همهم احياء هذه الشخصية وبعثها في اكبر عدد ممكن من المسلمين •

المقالة الثانية :

تأملات في تكوين الشخصية الاسلامية [1] •

قد تكون الشخصية مجموعة من المجالات او مجموعة من القوى ، وقد تترك الشخصية على صفحات الواقع التاريخي بصمات ما تنحني عليه من هذه او تلك ، وقد اتحسس الجدل النقدي في تقييمه الموضوعي للشخصية التاريخية عناصر قواتها الفاعلة او عناصر مجالاتها المنفعلة ليضعها في مناطها الصائب من حركة التاريخ الشاملة ، او ليخرجها من حركة التاريخ الى مجرد كونها ظاهرة من ظواهر الوجود الانساني الآتي والذاهب بلا قسمات ! ولكن الشخصية (الاسلامية) ترفض من هذه العناصر وتنتخب لانها لا تريد ان تكون موجة عابرة في محيط الاجتماع البشري ، او مجرد صدى لصوت تحكمه قوانين التبعية الذاهلة •

الشخصية الاسلامية :

الشخصية الاسلامية محكومة بقوانين الدورة الكاملة في الطبيعة والاشياء ، لأنها انبثاق عقائدي يدين بشمول الرؤية ، وغائية الطموح •• بمعنى ان الاسلام لا يتحجر في رؤية ضاغطة تعطي نصف الحقيقة وتعمى

---

(١) محمد احمد العزب ــ مجلة منار الاسلام ــ العدد الرابع نيسان ١٩٧٦ • ص ٨١ •

على نصفها الآخر ، وانما هو على النقيض ثورة جدل كوني اذا جاز ان يقال ، بمعنى انه يرفض ان يديل للقيمة من العرض ثم لا شيء ، ولكنه يتعقب كل بزوغ للقيمة ، وهذا هو المحتوى الحقيقي لمقولة ان الاسلام دين صالح لكل زمان ومكان من جهة .. ثم لمقولة ان الاسلام هو المضمون الحضاري الخالد للوجود الحيوي على تغاير اشكاله !

واذا كانت الشخصية (العامة) في اطارها السائب مجموعة من المجالات او مجموعة من القوى ، فان الشخصية (الاسلامية) في اطارها المنضبط تصبح مجموعة من المجالات (المعينة) او مجموعة من القوى (الذاتية) .. أي أن (نوعية ما) تحكم علاقة الاشياء بعضها ببعض في تكوينات الشخصية الاسلامية ، بحيث يعلو صوت الانتخاب النوعي على صوت الاعتباط العشوائي في مساحة هذه التكوينات .. وهذا هو ما يعطي هذه الشخصية الاسلامية تفردها القائد اول الامر ، ثم مبرر صدامها الحتمي مع الاغيار حتى تعتدل الموازين في نهاية المطاف ..

وقد أؤثر مصطلح (التكوينات) على غيره من المصطلحات لأنه يشع معنى لا أريد ان نفرط فيه ، ان التكوين استنبات لشيء لم يكن ، وصوغ لاشياء كثيرة هي كائنة ، أي أن ما لم يكن يكون هنا بفعل الوهج العقائدي ، وما كان مشعثا وغير قابل للتشكل يأخذ هنا شكله النهائي في ظل هذا الفعل العقائدي.. وهكذا يلوح مصطلح (التكوينات) اقدر من غيره على استيعاب ما نحلم بالبوح به من خلال هذه السطور ! ربما يكون التكوين في عملية الابداع الفني مثالا تقريبيا .. ان الفنان يشكل عمله النهائي اما من خلال اضافة تكوين موجود الى تكوين موجود .. واما من استحداث تكوينات والولوج بها الى عالم التشكيل.

بين التكوين والمصطلح :

وقد يقال ان الشخصية مصطلح مشترك لا يخصصها غير ان نضيف اليها مصطلح الاسلامية ، وهنا تصبح العلاقة بين التكوين والشخصية علاقة طارئة وليست علاقة تأسيسية .. ونحن لا نرفض هذه المقولـــة رفضا كاملا ، ولكننا كذلك لا نستطيـــع ان نستوعبها على نحو مـــن الاستغراق الشامل لان الشخصية الاسلامية لا تصبح حاملة لهذه الهوية الحقيقية الا اذا اجتازت تجربتها النهائية بالفعل . أي انهـــا لا تصبـــح شخصية اسلامية الا اذا خاطرت وغامرت واكتسبت عناصر تكوينهـــا العقائدية واستوت على أفق القناعات النهائية التي تصبح هواءها ودماءها وسيفها وكتابها جميعا .

ان الشخصية الواقفة على ربوة في المنتصف . او على وهـــدة في القاع يمكن ان تكون شخصية طامحة الى فعل ما .. يمكن ان تكون مفردة من مفردات الشخصية الاسلامية .. ولكنها ابـــدا لن تكـــون الشخصية الاسلامية فيما نعني بهذا المصطلح الشامل الايماء . فالشخص الذي في طريقه الى الاسلام له بعض ملامح الشخصية الاسلامية..والذي أسلم كذرة في دورة له بعض ملامح الشخصية الاسلامية .. والذي يؤمن بالاسلام نظرة ، او نظرية ، او رؤيا ، او انجذابا ، او تعاطفا ، او رغبا او رهبا ، او احتماء ، له بعض ملامح الشصية الاسلامية ، والاسلام هنـــا يحتوي هذه المفردات ليعيد تشكيلها من جديد .. انه لا يرفضها قط لأنه قادر على صوغها واعلائها وترشيد خطواتها على الطريق ..

حصاد التجربـــة :

نعني اذن بالشخصية الاسلامية حصاد كل التجربة البادئة من نشوء الحب ، السائرة على حقول الرفض والموافقة والمستوية في نهاية الرحـــلة

على اعراف الانتماء •• بحيث يصبح الاسلام ليس نظرتها او نظريتها او رؤياها او انجذابها او تعاطفها او رغبتها او رهبها او احتماءها ••• وانما (كينونتها) •• وهنا فقط نستطيع ان نستجلي اغوار كثير من المقولات الاسلامية التي تضع السيف والحرف على مستوى واحد في سبيل ان يولد على الارض اسلام بلا تخرصات •

ونموذج الشخصية الاسلامية يبتدىء محيطه من الارض لينتهي في السماء •• هذا النموذج لا يتصدى فقط لقيادة السلوك الانساني في حركة احتكاكه اليومي على هذه الارض ، ولكنه يتصعد بهذا السلوك ليعقد له وشائج قربى بالسماء •• ان الرجل الرباني (الذي يقول للشيء كن فيكون) [1] ليس سوى نموذج او نمط الشخصية الاسلامية •• ويخطىء افدح الخطأ من يظن ان هذا الرجل الرباني هو من انقطع الى قبلة في مسجد ، او الى قنة في جبل او الى غار في بيداء •• ان كل الساعين على الارض (اعبد) من هذا المعتزل الشاحب القدرات ، نموذج الشخصية الاسلامية يبتدىء محيطه من عراك القوى الذاتية الى عراك القوى الخارجية •• لينتهي الى صداقة كل القوى خارجية وذاتية •• علوية وسفلية •• وهذا معنى ان يكون محيطه مبتدئا من الارض ومنتهيا في السماء •

الحكم والتصور :

يقولون : ان الحكم على الشيء فرع عن تصوره •• ونقول : ان تصور الشيء هنا سيكون فرعا عن الحكم عليه •• بمعنى ان قوانين الشخصية الاسلامية قوانين حلولية بكل مستوى وعلى كل المقاييس ••

---

(١) اشارة الى الحديث القدسي « .. عبدي اطعني تكن ربانيا تقول للشيء كن فيكون » .

أي انها لن توجد من عدم •• وان تكويناتها قد انتهت بالفعل ، ولقد صدر الحكم عليها منذ اجيال •• ولا يبقى امامنا نحن الا ان تتأمل قاعدة هذا الحكم او مفرداته على الأقل لنتصور بعد امكانية ان نحيط بهذه المفردات •• فربما نصوغ مقولاتنا على نحو يوحي بذاتية الفهم •• وربما نصوغها على نحو يوحي بموضوعية هذا الفهم •• ولكننا نعد بأننا هنا وهناك لن نخالف ايثارا لمفهوم المخالفة ، ولن نوافق ايثارا لسهولة الموافقات •• سنقول في كل اولئك بصوتنا نحن •• من داخلنا نحن •• اننا لا نريد ان نفرط في قضية (الشخصية) ونحن ندير حوارنا حول تكوينات الشخصية ••

وقد تكون كل مفردة من مفردات هذه التكوينات بحاجة الى تأمل مستقبل ، وقد تكون بحاجة الى موقف شجاع ، وهذا هو هدف هذه الرحلة منذ بداية الانطلاق •• وبديهي اننا لن نتدرج بالحديث عن تكوينات الشخصية الاسلامية من السطح الى العمق ، ولا من الصميم الى السطح ، لأن فكرة تقديم تكوين على تكوين ليست في خاطر هذه الدراسة ، وكل التكوينات في نهاية الامر تشكل المجموع الكلي الذي نسميه الشخصية الاسلامية وهذا هو ما نهدف اليه ••

هذه مقدمة ،

وبعدها تتأمل كل المفردات ••

وكما قلنا منذ البدء •• فان تكوينات الشخصية الاسلامية ليست افتراضا عشوائيا من جهة ، لأن ذلك يحيل القضية الى مجرد تأويل •• وليست تجريدا ميتافيزيقيا من جهة اخرى ، فان ذلك يحيل القضية الى مجرد تخييل •• ان تكوينات الشخصية الاسلامية بعض عناصر القاعدة

الشمولية التي هي الاسلام .. الجوهر واحد .. ولكن تنمو هنا في عرض .. وتطفو هنا على سطح .. وتأتلق هنا في اطار .. الشجرة دائما تخاطب الحياة في مظاهر من الفروع والاوراق .. وها نحن اولاء على مقربة من تأمل الشجرة .. جذورا وأفرعا وأوراقا ..

١ ـ الانفتاح الفكري :

(الانفتاح الفكري) تكوين من تكوينات الشخصية الاسلامية ، الى منابع وجوده الحقيقي .. اما ان يكون الانسان مغلق الذهن ، فتلك هي قمة المأساة .. لأن الوعي الفكري بكل روافد الاشياء هو المقدمة الطبيعية للوعي بالاشياء .. الذين يغلقون نوافذهم يموتون بالجدب ، والذين يرتعشون امام الجدل الحيوي هم الذين لا يملكون ذرة من اليقينيات .. لقد يتاح للدارس المستوعب لفلسفة الاسلام الشمولية ان يرى في هذه الفلسفة حوارا عميقا مع كل الزمن باضلاعه المثلثة .. الماضي .. والحاضر .. والمستقبل .. ان كتاب الاسلام الخالد (القرآن) لم يغرق رؤوس اتباعه في حاضر منبت عن ماضيه .. ولا في ماضي منقطع عن مستقبله .. لقد أصل لوضعية انسانه العقائدي حوارا رافضا لأن الانفتاح الفكري وحده هو الذي يتيح للموجود ان يتسلق بالوعي مع الماضي المتعفن بكل اوتاره واوضاره ، وحوارا طامحا مع المستقبل بكل آماله واحلامه ، وحوارا واعيا كذلك مع الحاضر .. بكل رفضه للهابط الخابط .. وبكل عناقه للصاعد الواعد .. من احلام المستقبل وآثار الماضي بلا تفريط ..

ابعاد الانفتاح :

يبدو (الانفتاح الفكري) قضية صحيحة اذن .. وهو ليس قضية

صحيحة لمجرد انه مجال (قابـل) يأخذ من هنا وهناك ، ولكنه قضيـة صميمية لأنه مجال قابل وفاعل معا •• بمعنى انه يفتح جهاته الاربـع على كل اضلاع الزمن ماضيه وحاضره ومستقبله •• وعلى كل اضلاع الثقافات قديمها وحديثها •• أولا : لأنه من خلال هذا الجدل الوجودي والفكري يصوغ رؤيته على وهج التجربة وليس على مجرد الاحساس •• وثانيا : لأنه ليس مطالبا بان يعي مناهج الفكر لكي يكون واعيـا بها ثم لا شيء ، ولكنه يعي •• ويتمثل •• ويستوعب •• ويعاني ، لكي يندفع بكل هذا الوعي وبكل هذا التمثل وبكل هذا الاستيعاب وبكل هذه المعاناة الى خوض معركته الفاصلة ، واعيا •• ومقاتلا !!

الانفتاح جهد وكدح :

اذا كان (الانفتاح الفكري) في غير الاسلام ترفا فهو في الاسلام كدح نمائي •• واذا كان (الانفتاح الفكري) في غير الاسلام ضياعـا وخلخلة فهو في الاسلام مرابطه واعداد •• واذا كان (الانفتاح الفكري) في غير الاسلام بحثا عن هوية تائهة فهو في الاسلام تعميق لجذور هوية غير قابلة للانفراط •• وهذا هو الفرق •• ان الترف قد يكـون بعض مباهج الشاعر الباحث عن حدائق الالهام •• ان الضياع قد يكون بعض مناطات التافهين الذين يرتعشون فرقا تحت شمس التحديد •• كما ان البحث عن الذات وهي في قبضة الذات قد يكون بعض مأساة الفارغين•• ولكن قضية الكدح الغائي ، ولكن قضية المرابطة والاعداد ، ولكـن قضية تأكيد الهوية وتعميق جذورها هو بالفعل كل هموم العقائديين •• وهذا هو الفرق ••

البعد عن التجمد :

ان (الانفتاح الفكري) لا يعني عناق الفعل في مرحلة واحدة مـن

مراحل التطور ثم يتكلس .. أي انه لا يمكن ان يكون انفتاحا على مرحلة واحدة ثم يغلق نوافذه بتجمد .. ان نهر الفكر دائم التجدد ، ودائب الاندفاع ، وهو مع كل مشرق شمس يحمـل الى حواريه مزيدا مـن الطهارة ومزيدا من الجدة ... ولكي يكون الانسان العقائدي ـ وهو (الشخصيـة الاسلاميـة) فيما نعني هنـا ـ على مستوى قضيتـه ، فانه مطالب بلا هوادة بان يعيش في قلب عصره وقلب كل العصور في وقت معا .. أي انه مطالب بان يعي ثقافة عصره ليدير حواره مع مفردات هذا العصر ، ومطالب كذلك بان يعي ثقافة كل العصور انطلاقا من قضيـة مسلمة هي ان الثقافة شجرة جذورها غائصة في تربة الزمن ، وفروعهـا ضاربة في آفاق العصور .. فان الوعي بثقافة العصر يعني اقتدارا علـى معايشة المقولات المستحدثة .. ولكن الوعي بثقافة الماضي يعني كذلـك اقتدارا على تأصيل المقولات وليس مجرد الافضاء بهذه المقولات ..

عارضة خطيرة :

قد نشتبك هنا مع قضية عارضة خطيرة : هل يعني (الانفتـاح الفكري) تبديل العقائد تماما كما تستبدل الآراء ؟

ابدا .. لأن جوهر الفكر الاسلامي لا يستحيل ولا ينكفىء الى نقيضه ، ولكن هذا الجوهر الفكري قابل باستمرار لمواجهة ان يقـال باكثر من لغة ، وان يتدثر باكثر من رداء .. قد يكون الشكل العلمي الاكاديمي هو المنطق الصوابي لجوهر الفكر الاسلامي في مرحلة .. وقد يكون الشكل الفلسفي هو المنطق الصوابي لجوهر هذا الفكر الاسلامي في مرحلة اخرى .. وقد يكون الشكل الجدلي هو المنطق الصوابي لهذا الجوهر في مرحلة ثالثة .. الا ان هذا التشكل لا يعني على الاطـلاق استحالة لون الى لون .. وانما هو يعني فقط اقتدار هذا الفكر علـى

استيعاب كل التكوينات واذا كان عصر المنطق العلمي يتطلب مقولات علمية ، وكذلك يتطلب عصر الفلسفة مقولات فلسفية .. هكذا يكون دعاة العصور الاولى ودعاة عصرنا الراهن ملتقين على كلمة (الاسلام) ولكنهم يذهبون في شروحهم وتفاسيرهم وطرائق جدلهم مذاهب شتى ، ومن هنا كان ثراء هذا الفكر الاسلامي .. ان ثقافة عصر من العصور تفرض بالضرورة ان يتسلح الداعية بمنطق هذه الثقافة ، ولقد أحاول ان أخاطب الشباب بمنطق الكهول فيصيبني الاحباط ، فلماذا أحاول ان ألوي عنق التاريخ فأفرض على مرحلة منطق مرحلة بلا تبرير ؟؟ فقط ينبغي ان أقبض على جذوري ، ولي بعد ان اضعها على ما شئت من الاصعدة فكريا وفلسفيا وفنيا ..

و (الانفتاح الفكري) يجري ابعد من هذه الاشواط .. انه يعيد تقييمه لذاته في حومة هذا الجدل الوجودي .. انه يقوم بمراجعة شاملة عند كل منحنى من منحنيات طريقه الصاعد ، ربما ليتيح لذاته ان تعيد تقييم خطواتها اولا بأول ، وربما ليقيس مسافات الاستمرار والجمود في رحلته العارجة ..

وآمل ان لا يحرجنا شعوريا مصطلح الاستمرار فنحن أولى به وهو أولى بنا .. ان التطور لا يعني (كما يفهمه الساذجون) انتقالا من الابيض للاسود .. ولكنه يعني دائما انتقالا بالابيض من مجرد البوح الى حقيقة الفعل ، يعني الاندفاع بالابيض من مساحة الوطن الى مساحات كل البقاع ، يعني تناول الابيض من منظور معاصر ومثقف في مواجهة تناول هذا الابيض من منظور ورائي ومعصوب ..

احتواء الاسلام للزمن :

و (الانفتاح الفكري) حين يعيد تقييمه لذاته ليطور من امكانية

هذه الذات انما يندفع في مسار صوابي موائم لطبيعة الاسلام كعقيدة قابلة لاحتواء الزمن بأضلاعه المثلثة : الماضي•• والحاضر•• والمستقبل•• وموائم لطبيعة الاسلام كعقيدة قابلة كذلك للتعامل مع كافة الثقافات، يقينا منا بان مضمونها الحضاري يرفض ان يكون جبانا لأنــه ممتليء بعناصر التكامل والاستمرار والانفتاح •• وموائم ايضا لطبيعة الاسلام كعقيدة مقاتلة وليست ساكنة ، بمعنى ان معارك الفكر الاسلامي ينبغي ان لا تطمئن الى شاطيء نجاة واحد •• لأن تبج الخضم وانواء الطبيعة هو قدرهاالمنذور •• انها تبحر من عراك الى عراك ، ومن جدل الى جدل، ومن حوار الى حوار اشمل حضارية •• ومن حوار حضاري الى حوار اشمل حضارية •• كذلك كان الفكر الاسلامي منذ مطلعه وهكذا ينبغي ان يكون•• انها ليست نظرية في السياسة • وليست نظرية في الاقتصاد•• وليست نظرية في الحرب •• وليست نظرية في الاجتماع •• انها بنـــاء عقائدي يمتد من علاقة الفرد بالفرد على هذه الارض ، الى علاقة الفرد بالكون والارض ، الى علاقة الفرد والكون والارض بالقوة الخالقــة المتعالية اللا محدودة وان كان هذا لا يتعارض في مجـال الفكر مـع تسليط الضوء على رأي الاسلام في السياسة •• وفي الاقتصاد ، ورأيه في الحرب ، ورأيه في الاجتماع ••

تكامل الانفتــاح :

ان (الانفتاح الفكري) في اطار الواقع الاسلامي لا يعني ان نكب على نوعية فكرية جامدة ، وانما على نوعيات صاعد بعضها من بعض ، ومتعال بعضها على بعض ومتمم بعضها لبعض •• أي ان ما يسمى سياسة، واقتصادا ، وفلسفة ، واجتماعا ، يصبح بالضرورة بعض مفردات الفكر الاسلامي من وجهة انفتاحيــة ، فليس حـوارا عقائديـا ما ينهض على استقطاب نوع واهمال انواع •• قد يكون حوارا من أي اون نسميه

ما شئنا من الاسماء . ولكنه لن يرقى الى مستوى التنظير العقائدي في عالم كل ما فيه خاضع لمنطق النظرية ، وهادف الى غائية التأصيل ..

واذن يصبح (الانفتاح الفكري) بهذا المعنى ، او قل من هـــذا المنظور مكونا أوليا من مكونات (الشخصية الاسلامية) .. ويصبــح الجدال لا في وجود هذا الانفتاح او عدمه .. وانما فقط (من اين والى أين) .. ويصبح فكرنا نحن بهذه الوضعية الصوابية فكرا متعايشا في شرايين عصره المائج ، حاملا احلام غده المأمول في اهداب يومه المائــج المتوشح بأمسه الرائع .. ونصبح نحن .. جيل الراية المقتحم .. الذين يرفدون بالعنفوان كل لحظات التاريخ ..



ان محاولة بناء الشخصية الاسلامية لا يمكن ان تتم الا اذا توفرت عناصر الثورة في نفس ذلك الانسان حتى يكون البناء صلدا لا تهزه الأعاصير ولا تزعزه الزوابع ولا تجرفه السيول ..

الثورة قطعة من الاسلام بلورها الحسين (ع) وعمار وبلال وميثم وابي ذر وكل الشهداء الذين سقوا بدمائهم ارض الاسلام ، وهي تتفجر دوما في نفوس المؤمنين .. في نفوس الأبطال الذين رقابهم لله على حبال المشانق ..

ان اجتماع العناصر الاربعــة : الفكــر .. الروح .. الثــورة (الجهاد) .. الجسد ــ في الشخصية المسلمة كفيل بخلق اولئك الرجال الذين قال الله فيهم :

(رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار) صدق الله العظيم . النور : ٣٧

(٦)

وبعد .. نستطيع ان نرسم الآن في ضمير التاريخ معالم الشخصية في الاسلام .. ونستطيع ان نحدد زوايا الانعطاف في الهياكل البشرية .. نظرة الى تلك الشخصية تجعل حساباتنا السابقة مجرد حبر على ورق ثم لا شيء .. الشخصية في الاسلام مؤسسة .. والمؤسسة تحوي عناصر تأسيسها .. عناصر التأسيس في الشخصية الاسلامية هي الآتي : العقيدة ، الفكر ، الروحية ، الجسد .. وهي بمضمونها ترسم صورة المسلم الحقيقي .. التقي .. المسلم الذي يمشي على الأرض وقلبه في السماء .. ذلك يعمر الأرض بيده .. ويعمر السماء بقلبه ..

الشخصية في الاسلام مؤسسة .. لأن المؤسسة سلطة .. والسلطة ليست وجاهة .. انما مسؤولية .. والمسؤولية اما من ؟؟ .. امام السلطة المطلقة .. امام السلطة الخالقة .. امام السلطة التي تحكم السماء والأرض ..

الشخصية في الاسلام مؤسسة اعلامية .. وهنا الفرق بين ان نملك وسائل اعلام ميكانيكية وبين ان نملك وسائل اعلام حيوية .. هنا الفرق بين تلك التي تدار آليا وتلك التي تنبض مع نبضات القلب وتتفجر مع تفجر البراكين وتغلي مع غليان الدم في العروق ..

الفرق هنا بين الاعلام الميكانيكي وبين الاعلام الحيوي .. لا جدوى من نقل الاحداث نقلا ميكانيكيا مجردا .. لأن العواطف والمشاعر لا يهزها النقل الآلي ولا يرفدها النقل الميكانيكي ..

التفكير .. ميكانيكي .. قد يكون ، الجدل .. ميكانيكي ، قد يكون ، الخطابة .. ميكانيكية .. قد تكون ، اما المشاعر .. ميكانيكية .. فلا .. لأن المشاعر ادراك عميق .. وبحث عن هوية ذاتية .. فلا استطيع ان اكتشفت هويتي من خلال نقل ميكانيكي .. وهنا الفرق ..

الشخصية الاسلامية مؤسسة اعلامية حية ، خلاياها تنبض بالحياة وترفد بالدم .. لها القابلية على التجديد .. ولها القابلية على التفاعل والتأثير .. ليست اداة جامدة وليست عنصرا خاملا .. تتفتح مع مشرق كل شمس وتتجدد مع انبثاق كل حياة ..

المؤسسة الاعلامية الميكانيكية تحتاج الى عقل وايدي فقط ، اما المؤسسة الاعلامية الحية فتحتاج الى عقل وروح وايدي وهي التي يوفرها الاسلام في ذلك الكيان الذي يسمى بالشخصية الاسلامية ..

أي عقيدة تلك التي تجسد الفكر الى عمل وتجسد الروح الى عواطف ومشاعر .. وأي عقيدة تلك التي تنبت شجرة التنظيم في عقل الانسان .. وأي عقيدة تلك التي تخلق من الانسان المبعثر الجاهل المهزوز انسانا تصطف له الملائكة بالاجلال والتقدير .. وأي عقيدة تلك التي تربط الأرض بالسماء وتربط المخلوق بالخالق وتربط الانسان بالكون .. أي عقيدة تلك ..

لا عقيدة غير الاسلام تجمع هذه المواصفات .. ولا شخصية غير شخصية المسلم قادرة على استيعاب هذه المواصفات والتفاعل معها ..

الشخصية الاسلامية مؤسسة اعلامية .. لأنها تكوين يربط بين الاعلام كوسيلة وبين الاسلام كدين وعقيدة ونظام حياة ..

موضوعات الكتاب